

جدور في الهواء



ثروت اباظه

ثروت أباطة

جُذُورُ فِي الْهَوَاءِ

الناشر : مكتبة معبر
٣ شارع كامل هادي الخالدي
سميد جوده السمار وشركاه

ما أحلى السنين ، وما أجمل هذه اللحظة الى أنا فيها ،
كيف أستطيع أن أمسك هذه الهنيئة من الزمن فأجعلها تقف
لا تمر ؟ تبقى لا تمضى ؟ وأنا واقف هنا أرى اسمى على لوحة
الكلية ، معلنة أنى حصلت على ليسانس الآداب . لقد جاء
الطلبة أفواجا وانصرفوا فرادى وجماعات وأنا بهم واع وغير
واع ، مدرك وغير حافل ، متجمد ، أنا أحاول أن أجمد لحظتى
ولكن اللحظة امتدت فى عمق الزمن ، وانماع كيائها وانداخت
حتى أحسبت نفسى أقفز فجأة الى الهواء . لقد نجحت ،
وكانما ام أدرك أننى نجحت الا وأنا أقفز هذه القفزة .
أيستطيع أحد أن يدرك معنى هذا النجاح الا أنا وهى ؟ حبنى
الأول والأخير . أحلام الصبا وآمال الشباب ، وأوهام الهوى
وحقيقته ، وخفق الحب ونبض الحياة ، والعيون الرانية الى
السنين المقبلة نعزة التحدى ونظرة الأمل ، وخشوع الرجاء
ورجفة المرتقب . والأمسيات تروى لقائنا الهامس تظله الأغصان
الحاملة فى حذيقه أبيها . ومطالع الشمس لا تبسم الا على

بسمتنا فى لقاء الصباح وهى فى طريقها الى المدرسة وأنا فى
طريقي الى الكلية . . . الى الى البيضاء التى لا تعرف الظلام ،
أظلم ورهيقى الكتاب والمصباح حتى يتسرب شعاع الشمس
الى ضوء الكهرباء فيطفئه فيصبح مضيئاً كالظلم كصرخة فى
واد ، ويضئ نوره كجدول شحيح يغمره من البحر طوفان ،
وتطل ابتسامتها مع نور الفجر فلا تعب ولا رهق ، فأنا جديد
كأنما ولدت من بسمتها والى المذاكرة أعود .

كنت أقضى الغام كله أقرأ فى غير كتب المدرسة . . لقد
أمسك الأدب بخناقى منذ لا أعرف متى . . حين كنت طفلاً ألهو
كنت أجد متعتى الكبرى فى قصص الأطفال حتى كبرت القصص
وكبرت معها ، ومنذ ذلك الحين الذى لا أذكره أصبحت القراءة
هى حياتى جميعاً .

وأحسست يدي تقوى على أن تمسك القلم وأنا بعد فى
خواتيم الصبا وبواكير الشباب ، فكتبت وأصبح لى قراء ،
ولكنى فى نفس الوقت لم أهب للدراسة ما تستحق فكنت أنجح
كل عام ، ولكن فكرة التفوق لم تخطر لهذا النجاح على بال .
وكنيت ألتهم العام جميعاً فى شهر وبعض شهر من أواخر العام
الدراسى .

وعلى طول خطواتى فى الدراسة والأدب عرفت تحية . .
فأبوها يقيم فى فيلا مقابلة لشقتنا . . وهو صديق أبى ، وأمها

صديقة أمى ، وبيتنا صديق بيتها ، وقد جمعتنا الطفولة وملاعب
الجيران •

حين عرفت خبر نجاحى أصبح تفكيرى مركزا على شىء
واحد : كيف أنبئها بذلك النجاح دون أن أفلت من الزمن دقيقة
واحدة ؟ جريت الى التليفون • • لماذا أصبحت حياتنا جميعها
مظاهرة ضخمة من المنغصات ؟ ولماذا يرفض التليفون أن
يستجيب ويعود الى عمله الطبيعى من وصل الحديث بالحديث ؟
والبقال وصاحب التليفون يضيق بوجود زبون للتليفون وحده
بالمحل • ومرت دقائق وأوشكت أن تكتمل ساعة ، وأشرق
صوتها :

— آلو •

— نجحت ؟ •

— عارفة معنى النجاح ؟ •

— مبروك •

— مبروك علينا •

— أشوفك الليلة •

— وقبل الليلة • • قفى فى الشرفة وانتظري القبلة التى

سأرسلها اليك •

— أنت مجنون •

— مجنون تحية •

— باى ا •

— هل سمعت البوسة •

— باى ١ •

— هل سمعتها •

— سمعتها •

— فأين ردها •

— أنت تستحق ألف بوسة • • أشوفك الليلة • • باى ١ •

ووضعت السماعه وأحسست أن نجاحى أصبح مجموعة
من النجاحات •

لم يكن أبى فقيرا ولكنه أيضا لم يكن غنيا : وكنت أعلم
أن طلب الزواج سيجعله يفكر ، لكن زواجى من تحية بالذات
سيجعله يتصرف • وعلى كل حال فالمشكلة لم تكن مشكلة أبى
ولا أمى ، انما كنت أخشى أن يرفض أبوها هى ، وأى شيطان
أخرق يجعله يزوج ابنته الباهرة الحسن الرائعة الجمال من
فتى يستشرف الأيام الأولى من حياته العامة ، وليس فى يده
من أدوات فن الحياة الا شهادة أصبحت لقى فى الطريق ،
يحملها أسود الأعظم من شباب البلد دليلا على أن جهلهم
أصبح معترفا به رسميا من الدولة •

كنت واجفا حين طلب أبوها الى أبى أن يمهله بضعة
أيام • ديلى اذا كان فى المسألة تفكير ١ • أن أباه لا يعنيه
أنى أديب: وأنى أنشر قصصى ومقالاتى فى أعظم مجلات العالم

العربى ، بل هو لا يعنيه أننى أكتب روايتى الأولى لم يوقفنى عنها الا امتحان الليسانس • ولا يعنيه مطلقا أننى أعلق آمالى كلها على زواجى من ابنته • فان آمالى أنا لنيست من أهداف حياته ، ويكفيه أن يحمل عبء آماله هو وآمال زوجته وابنته • ولا يعنيه أيضا أننى شاب وسيم كثيرا ما ألفت فتيات فى الجامعة نظراتهن الىّ ، ولكننى كنت أعلم أنهن يخرجن مع أصدقائهن بالأجر ، لم أكن أحب هذا النوع من المغامرة مع فتيات الجامعة ، كنت أخاف أن أحس أننى أضجع نفسى اذا نمت مع زميلة ثم دفعت لها أجرا •

لا يعنى عمى نصر بك الموانى أننى وسيم ، فقد تعنى هذه الوسامة شيئا لتحية أما له ففظ • لأكن دميما ما شئت الدمامة • وغنيا بعض الغنى الذى يجعله يطمئن على مستقبل ابنته • أى شيطان أخرق أذن سيجعله يقبل زواجى من تحية ؟ طيب • • لأضع نفسى مكان عمى نصر • • ما هى المزايا التى تجعلنى أوافق على زواج أيمن ربيع حجاج من تحية ؟ • • ابن صديقى ؟ طظ ! • ولد طيب وابن حلال ؟ • طظ ! • أولا يستطيع أن يظل طيبا وابن حلال فى هذه المعاشرة المتباعدة ، ثم ينقلب فى لحظة بلهاء الى شيطان مرید ؟ • حاصل على ليسانس الآداب ؟ • خير لى لو أستبدل بها عمارة فى أحقر حى بالقاهرة •

أرابت الرجل لم يفكر مطلقا فى مسألة أننى أديب أو

وسيم ؟ أنا عارف .. اذا كانت الشهادة لا تهمه فكيف يهتم
بالأدب والفن والوسامة والقسامة .. لا أمل .

— لا تخف ، سنتزوج .

— صحيح ؟ .

وقفزت أقبل فاها ، وجاوبت قبيلتى بقبلة غير صامته .

— اهدأ .

— بالذمة صحيح ما تقولين ؟ .

— سنتزوج .

— هل وافق أبوك ؟ .

— أنا وافقت .

— أنا أعرف أنك موافقة من زمان ، ولكن أبوك ما رأييه ؟ .

— ماذا تظن ؟ .

— رفض .

— فعلا .

— اذن كيف سنتزوج .

— هذا شغلى .

— الحكاية فيها شغل .

— شغل لا تعرفه أنت .

— وتعرفينه أنت ؟ .

— اذا أردت شيئاً لا يقف أمامى شيء ، ولا أحد .

— حتى أبوك ؟ .



إذا أردت شيئاً لا يقف أمامي شيء .. ولا أحد !

— وخصوصا أبى •

وتزوجنا ••

كم هم سخفاء أولئك الذين يذمون الزواج •• ان الانسان لا ينسر أن جذوره قد انغرس فى أرض الحياة وتشعبت حتى أصبح له ولوجوده معنى ، الا اذا تزوج • أن شعورى أن لى أسرة ، وان كانت مكونة منى ومن زوجتى فقط ، كان يعطينى احساسا بالطمأنينة ، وبأننى بعد أن كنت نباتا هشا على سطح الحياة ، أصبحت شجرة لها أصول وتنتظر الفروع • ومع هذا الاطمئنان استقبلت حياتى أشوق ما أكون لاستقبالها •

عملت فى جريدة الأيام التى كنت أكتب بها وأنا طالب ، وانتظمت بها مقالاتى وقصصى •• وعدت لروايته التى كنت قد بدأت صفحاتها الأولى وأنا طالب • لم تعد أمامى من الحياة مشكلته ، فقد كان جمالها هو كل ما يثير القلق فى نفسى ، والفرع ألا أتزوجها • وقد تزوجت فلم تعد لى مشكلة • وقد كان زواجى فاتحة خير وأفر لى ، فقد أهدت الى فى يوم الزواج سيارة ، وبهذا قضت على أقصى ما يواجه ملتمس الطريق فى القاهرة ، اذا التمسه أعزل من السيارة ومن ملابس غير عادى يستطيع به أن يخيف سائق التاكس ليقف له • جعلتنى السيارة المهداة فى غنى عن أذلال سائق التاكس •• وطبعاً لا حاجة بى الى ذكر السيارات العامة ، فهذه لم تعد وسيلة

مواصلات بقدر ما أصبحت. أعظم وسيلة لاهدار الكرامة البشرية •

صحيح أن الكرامة البشرية في مصر قد قضى عليها منذ فترة طويلة ، ولكن الانسان لا يجب أن يعالمن الآخرين بأنه أصبح عاريا من الانسانية • والسيارات العامة اعلان قد يجد الكثيرون أنفسهم في غنى عن رفعه • فلم يعد العزوف عن السيارة العامة تنكرا للفقير • • فقد أصبح الفقر في مصر مفخرة وشرفا ، فهو حليف أبناء البيوتات الشرفاء من أبناء الشعب عامة الذين لا يمتنون للمسئولين بأية صلة ، ولم يصبح بيننا غنى الا بسبب لا يرضى الشرف أو المقاييس القديمة للأخلاق • وهكذا لم يكن يعنينى — بل لعله كان يشرفنى — أن أركب السيارة العامة ، أو أن هذه السيارة أبقت على نذر يسير من آدميتى • • آدميتى التى أكتسبها من شكل الانسان الذى صورنى عليه ، ولا علينا من آدميتى تلك التى اختلطت مع آدمية المصريين •

وقد كان من المستحيل أن يشتري لى أبى سيارة ، فقد عاش عمره رجلا فى ظل من الحياة وارف ، بعيدا عن هجير الادارة وحرور الصدارة ، تلك النار التى تلتفح الناس فتتضجهم فيصيحون خبراء بمكانن الخزائن ومظان الثروات ، وتلك الجدول والأنفقة التى تصل بين المكامن والمظان وبين جيوبهم • • وهكذا فرحت بالسيارة ، فأنا من هؤلاء الذين يؤمنون بأن

الأديب لا يمكن أن ينتج فنا ذا قيمة ، الا اذا كان مطمئنا الى يومه وغده • وأولئك الذين سحقهم الجوع ، وكانوا يكتبون وهم بين أضراس الحاجة ، لا نستطيع أن نعرف أي فن كانوا سيقدمونه للناس لو توفرت لهم طمأنينة العيش • ولعل ديكنز ، وهو من أكبر الأمثلة على لهاث الأديب تحت صنبور النافر ، كان ينتج فنا أروع مما أنتج لو كان بجيبه ما يجعله يكتب وهو منتظم النبض • ولا أنسى ما سمعت عن ذلك الأديب الذى كان يجلس بمقهى بار اللواء متهيئا ليكتب مقاله للجريدة التى يعمل بها ، فكان يميل على صديق له يستلف منه جنيها ، ويضع الجنيه فى جيبه ويبدأ فى كتابة مقاله ، حتى اذا أتمه ومهره بتوقيعه ، أخرج الجنيه ورده الى صديقه فى الجلسة نفسها • لم يكن يريد من الجنيه الا أن يشعره بالطمأنينة حتى يكتب مقاله •

فقراء الفنانين أنتجوا فنهم على رغم فقرهم • • لا بسبب فقرهم •

وقد كانت زوجتى ثرية ، ولكن التقاليد البالية كانت تحتّم على أن أصر أنا لا هى على أن أقوم بشأن البيت ، وليواجه ثراؤها بعد ذلك ما يتصل بخاصة شأنها من ملابس وزينة •

وأسباب غنى زوجتى لم تكن خافية على أحد ، فقد كان أبوها موظفا ، ولم يكن لديه حين تزوج مال ، ولكنه كان يعمل بوزارة المالية — وهى وزارة تستطيع أن تصل بين موظفيها وبين

هجير الادارة وحرور الصدارة — فنضج وأصبح رئيسا لمجلس
الادارة •

وأنا لا ألوم أبى فقد كان مدرسا ، وكل ما استطاع أن
يجمعه من الدروس الخاصة والعامة هو ثمن البيت الذى كنا
نعيش فيه ، والذى كان يشمل أربع شقق نسكن نحن احداها ،
ونطل منها على بيت نصر بك الملوانى الذى أصبح مع الأيام
قصرا ، والذى أحببت أنا ابنته تحية وأهدت الى السيارة فى
يوم الزواج •

وبفضل هذا القصر لم نتعرض لمشكلة المسكن •• فقد أفرد
أبوها لى جناحا فخما بعيدا عن صدارة القصر ، متصلا به عن
طريق ممر أنيق ذى زجاج مصنوع فى ايطاليا ، قادر فى عز
الشتاء أن يدخل دفء الشمس دون وهجها •

حاولت بعد أن تزوجنا أن أعرف من زوجتى كيف أقنعت
أباها أن يقبل زواجى بها ، ولكنها كانت تدور بالحديث فأجد
نفسى فى متاهة •

وازدادت هذه المتاهة غموضا حين وجدت عمى نصر بك
يعاملنى معاملة غاية فى الرقة والعذوبة ، وقد تكشف لى الرجل
عن خبرة نادرة فى معرفة الطريق الذى يستطيع به مداعبة
الغرور فى نفس الذى يعامله ، فهو يدرى تماما الكلمة التى
ترضىنى وتثير منابع الزهو فى نفسى وبنفسى • فهو مثلا يعلق
على كل كلمة يقرؤها لى فى الجريدة ، وهو اذا فعل لا يمدح

مدحا مطلقا ، وانما يثير حول ما أكتب موجة من الآراء ، ويشرك معه زوجتى وهنية هانم حماتى، ويدافع هو عن رأيى ويتبناه . وكأني رأيه ، ويستخدم أحيانا الألفاظ التى استخدمتها فى كلماتى . فان علق على قصة ، راح يحلل شخصياتها ويخلق مما كتبت أعماقا لعلى لم أقصدها ، واذا بى أجد نفسى لفترة غير قصيرة من الجلسة معه ، موضع الحديث والاهتمام . ولا يكتفى عمى نصر بك بامتداح كتابتى ، بل هو فى دربة باهرة يلحظ اليوم الذى أقصد فيه أن أكون أنيقا ، فيلقى ملاحظة سريعة حاسمة تشعرنى أنى بلغت من الأناقة ما أريد . وقد لاحظت عمى نصر بك فى معاملته للناس أجمعين ، أن له قدره خارقة على ارضاء الناس وعلى مديحهم فى غير سرف وفى غير بخل . وهكذا أصبحت على وعى تام بالطريق الذى وصل به الى رئاسة مجلس الادارة ، كما أصبحت على وعى تام بالطريقة التى أصبح بها مالكا لهذا القصر الذى أعيش فى جناح من أجنحته .

أما زوجته هنية فخير زوجة لزوجها ، فالغنى والمركز هما النجاح الحقيقى فى الحياة . وظهور اسمى فى الجريدة هو مظهر النجاح عندها ، ولا يهمها فى شيء ما أكتبه أو ما أثيره من آراء . المهم أن زوج ابنتها يظهر اسمه فى الجريدة . والدليل على أن ما أكتبه شيء عظيم ، أن عمى البك مبسوط منه ، وما دام هو مبسوطا فلا شك أن هذا الذى أكتبه رائع .

كل هذا فهمته ، ولكن الذى لم أستطع فهمه هو لماذا قبل نصر بك أن أتزوج تحية ، ولماذا يعاملنى هذه المعاملة العذبة • قلت فى نفسى لعل ابنته أصرت ، وحين وجد نفسه أمام اصرارها قبل الأمر وأذعن له • أما معاملته فقد خيل الى اللحظة أنه يعاملنى مثلما يعامل كل من يتصل به • ولكننى كنت أتصور أن المنافقين يحبون أن يستريحوا من النفاق مع الذين لا يرجون منهم خيرا ، وان كنت سمعت من بعض زملائى فى الجريدة : أن المنافق لا يتخلى عن نفاقه مع أحد من الناس وان يكن لا يرجو منه نفعا ولا يخشى منه ضررا ، لأن المنافق يخاف أن تصدا موهبته فهو يشحذها مع الناس أجمعين ، سواء أكانوا ممن يستحقون النفاق أم لا يستحقون •

وعلى أى حال من الحالين فالرجل غاية فى الرقة معى • ولتكن أسبابه ودوافعه ما تكون فاننى أنا الكاسب آخر الأمر • • وأنا واحد من الناس أعامل الناس بظاهر معاملتهم لى • • فالحقيقة المخفية فى النفوس لا يعلمها الا خالق النفوس ، وليس لنا نحن البشر الا ما نرى حتى يظهر ما تخفى ويبين ما تنبض به القلوب •



حياة جديدة عشتها مع تحية والجريدة ، وانفسحت أمامى
آفاق من الدنيا التى كانت بالنسبة لى طلاسـم ومجاهل
وسماعيات ، فقد عشت حياة الدراسة أدور كالصـفور التائه
فى أجواء الطلبة وأوهمهم ، لا أشعر أننى أجد نفسى الا فى
جلساتى الهامسة فى حديقة تحية ، ولا أعرف من دنيا القاهرة
التى تكونت منذ قريب شيئاً ، ولعنة الله على كتب الأدب فان
قراءتها جعلتنى مخدورا واهما ، أحسب أننى عرفت الحياة
من خلالها . فحين انفتحت أمامى هذه الآفاق الجديدة ، تبين
لى أن حياة الكتب هذه حياة مرسومة يصنعها الكتاب بالصورة
التى تحلو لهم ، وليس بالصورة التى ترسمها الحياة لنفسها .
فحياة الدنيا عريضة جامحة رعناء ، ترسم خطوطها وخطوط
ناسها كما تشاء . والعجيب فى أمرها أنها لا تلقى أية عناية
لأصول فن القصة التى أفنيت شبابى فى الوصول إليها من
ثنايا قراءتى للقصة وقراءتى عن القصة . أما هذه الدنيا
فبوهيمية لا تراعى أية أصول ، وأول أصول تستحقها وتحققها
هى أصول القصة . فإذا أنت أوغلت فى الحياة وأردت أن تنتهى



ولتكن أسبابه ودوافعه ما تكون .. فأننى أنا الكاسب آخر الأمر

الى دفاعها وأبنائها ومنابتها وسبلها ، ألفيت دنياءك ترمى بالأحداث فى وجهك دون تلك المقدمات التى يلزمك فن الرواية بمراعاتها ، وتنظر الى هذه الأحداث أو التشابكات التى تكون عقد القصص فى الحياة . فتجد أحداثا وتشابكات خالية من أى منطق أو معقولية أو تفكير . وأنظر الى نفسى فاذا أنا تأثت زاهل بما يحمله عقلى الهش من أحداث القصص الروائية ، واذا أنا فجأة أكتشف أننى قضيت ربع قرن مع الحياة وأنا غريب عن الحياة لا أعرفها ولا هى تعرف أمثالى . ولا يبقى من هذه القصص والروايات التى كنت أقرأت الا ذكريات الاستمتاع بقراءتها ، ثم لا شىء بعد ذلك .

ولقد هدى وزلزل كيانى أن غرورى راح ينسحق شيئا فشيئا لأجد نفسى آخر الأمر هباءة هائمة فى دنيا غريبة تتكرنى ولا أنكرها ، توشك أن تنبذنى وأتمسك بها ، وتتجهم لى تجهم من يجهلنى وأحاول أن أبتسم لها ابتسامة من يتظاهر بمعرفتها . وجدت نفسى فجأة — أو من غير فجأة — عضوا بنادى الجزيرة . وهذه العضوية لثاى حدث هام فى حياتى أحب أن أمارسه بأسرع ما تكون الممارسة وبأوسع ما تكون الممارسة . بحثت عن حقوق العضو فوجدت أننى لن أتمتع منها بشىء ، فلعب الألعاب بعيد عن طموحى ، ودعوة الناس بعيدة عن مواردى المالية ، والداخل للنادى لا يحتاج الى عضوية فأنا لن أذهب وحدى ، وزوجتى عضو بحكم أنها ابنة أبيها الذى

ما كان لأبته أن تكتمل ان لم يكن عضوا بجميع نوادى مصر الكبرى • وهكذا لم تضاف العضوية جديدا الى الا أنها مع ذلك جعلتنى أشعر أنهى شىء مهم • ولو لم تهب لى الا هذا الشعور لكان حسبها وحسبى •

ذهبت فى أول يوم الى النادى مع زوجتى وعمى نصر بك وزوجته هنية هانم ، فوجدتهم يتجهون الى منضدة بعينها • فما ان انتهى مسيرهم اليها حتى توقفوا وراحوا يتبادلون نوعا من السلام يدل على أنهم يلتقون دائما • واتسعت الدائرة لتشملنا بوراحت العيون تتجه الى خفية أحيانا وفى صراحة وجرأة أحيانا أخرى • ورحت أنظر فى القوم • انهم قادة الاشتراكية فى مصر : رؤساء مجالس ادارات ، وأمناء اتحاد اشتراكى • وجرى الحديث وبدأ بى بطبيعة الحال بصفتى عضوا جديدا فى المنضدة لا فى النادى فقط • عجيب شأن هؤلاء الناس ! كيف استطاعوا أن يخلقوا بينهم هذه اللغة المشتركة • نفس الطريقة التى يتكلم بها عمى نصر ، ونفس المقاييس ، ونفس العبارات ! وفجأة ارتفع صوت سيدة من زوجاتهم أو من بناتهم لا أدرى ، فالأمر مختلط :

— تصورى جيغى فتحت بوثيك فى الزمالك •

• قالت الأخرى وكأنها لم تكن تعرف :

— لا يا شيخه ؟

وضحك تيسير بك عبد المولى رئيس مجلس ادارة الشركة
العربية للغزل ورئيس الاتحاد الاشتراكى بها :

— مغفلة •

ونظر اليه السيدات وقالت احداهن :

— لماذا يا تيسير بك ؟

— لماذا ؟

— الزمالك أصبح لا يسكنها الا الفقراء الذين كانوا
أغنياء ، والروس الذين يصعدون النثر الى جميع بلدان
العالم •

وضحك السيدات ، وغصت فى الكرسى الذى أجلس
عليه •• أهؤلاء هم زعماء الاشتراكية فى بلدى ؟

وعادت احداهن تقول بعد أن فرغت من ضحكها :

— ولكننا نسكن فى الزمالك يا تيسير •

— وهل نشترى نحن حاجاتنا من مصر ؟

وضحك الجميع مرة أخرى ، ونظر الى تيسير بك :

— ما رأيك فى هذا الكلام يا أيمن ؟

لم أكن أتوقع السؤال ولم أعد له ، ونوع الحديث غريب
على فى هذا المكان ومن هؤلاء الناس ، فوجدت نفسى حائرا
ولكننى مع ذلك قلت دون وعى :

— معقول •

وجعلت همى فى هذه الجلسة مطالعة وجوه الجالسين من

سيدات ورجال ، واختطفت عيني بعض ابتسامات رمت بها الى نسوة منهن لا أدري ان كن زوجات أم أخوات أم بنيات • ولكن الذى أدريه وأؤكدّه أننى أكملت الجلسة تأثها • وما ان وصلت الى بيتى حتى أمسكت بالصفحات الثمانين التى كنت كتبتها فى روايتى ، ومزقتها جميعا وألقيت بها الى النار حتى لا أحاول بعدها أن أعود اليها •

لقد كانت الرواية عن المجتمع المصرى الجديد ، وقد تبين لى فى لحظة أننى لا أعرف أى شىء عن المجتمع المصرى الجديد •



تبين لى أن العضوية لا بد منها ، فقد صرت بعد ذلك أذهب منفردا الى النادي وأنتظر تحية به ، أو تذهب هى وتنتظرنى هناك • بل اننى مع الأيام وانشغال تحية أحيانا بأشياء أخرى غير النادي ، كنت أذهب وحدى •• فأنا لم أعد غريبا على المشلة • واتضح لى أننى من النوع الذى يحب النساء أن يلقين اليه بأسرارهن • وقد توطدت صلتى بثلاث من السيدات اللواتى كن معنا فى الجلسة الأولى ، هن :

الهام عبد المولى فقد اتضح أنها زوجة تيسير بك وقد عرفت أنها من أسرة غنية أصابها الغنى فى الفترة الأخيرة ويتاجر أبوها فى الغزل الذى يبيعه لأصحاب الأنوال الخاصة ،

وقد بنى من هذه الخيوط الواهية ثلاث عمارات ، كما اشترى
مائة فدان تزرع بالعنب فى المحلة ، وليس له من أولاد الا ابنته
الهام وابنه شريف •• وقد تعرف زوجها تيسير بك بأبيها فى
ساحة شركة الغزل ، وعين له ابنه وتزوج ابنته • والهام فتاة
تدرك فارق السن بينها وبين زوجها ، وتدرك تماما رغبة أبيها
فى الانتساب الى صاحب لقب ، ورغبة زوجها فى الانتساب
الى صاحب غنى • وتحب الهام أن تنتفع من لقب زوجها ومن
غنى أبيها ، وعن هذين الطرفين المفروشين بالورد والياسمين
تحب الهام أن تكون سيدة مجتمع تنتشر الجرائد صورها ،
وتتابع بالكاميرا خطواتها وحركاتها •

— هل توزع كثيرا جريدة الأيام ؟

— أعتقد أنها فى القمة ••

— أعرف ذلك ، فأنا من الذين يهتمون بتوزيع الجرائد •

— اذن فأنت تمتحنين معلوماتى ؟

— الحقيقة أننى أعجب بمقالاتك •

— أتظنين أن لقايتى صلة بالتوزيع ؟

— كل ما يكتب فى الجريدة يعمل على حسن التوزيع •

— أخطأتم تواضعنا •

— ولكن الاعلانات عندكم أقل من بعض الجرائد الأخرى •

— أرى أنك خبيرة فى الصحافة •

— هل تعمل فى الاعلانات ؟

- أنا ؟ • أبدا •• أنا أكتب فى الأدب فقط •
- مغفل •
- نعم ؟
- ألم تسمع ؟
- المصيبة أنى سمعت •
- فما هذه الدهشة ؟
- لم أتوقع أن تشتمينى بهذه السرعة •
- إذا أحببت شتمت •
- يا بخت زوجك !
- أنا لا أشتمه •
- يعنى •• ؟؟
- هل يعقل أن أشتم رئيس الادارة ؟
- هل هو فى البيت رئيس مجلس الادارة ؟
- فى كل مكان •
- أراه ظريفا •
- فى مثل سنه لابد أن يكون ظريفا ••
- هل يرتبط الظرف بالسن ؟
- عند رؤساء مجالس الادارة •
- آه •••
- أليس نصر بك ظريفا ؟
- كنت أظن أننى وحدى الذى وصلت الى هذه النظرية •

- أى نظرية ؟
- كل رئيس مجلس ادارة رجل ناجح •• كل رجل ناجح ظريف • كل رئيس مجلس ادارة ظريف •
- فلماذا يقولون عنك مغفل ؟
- لا يقولها الا من يحبى •
- ومن يحبك ينصحك أن تعمل فى الاعلانات •
- وأترك الأدب ؟
- لماذا تتركه ؟
- تقصدين ؟؟
- أنت محرر فى جريدة كبيرة ، واستطعت عن طريق حماك الظريف أيضا أن تتعرف على رؤساء مجالس ادارة ظرفاء •
- والله فكرة •
- غدا سأقدم اليك أمرا بنشر اعلان على نصف صفحة •
- عظيم •
- وأنا ، أليس لى عمولة ؟
- أنت تريدان عمولة ؟
- من نوع خاص •
- مثل ماذا ؟
- أن تنشر صورتى فى باب المجتمع •• ثم تنشر عنى خبرين على فترات تقررها أنت •



غداً .. سأقدم اليك أمرا بنشر اعلان على نصف صفحة

— بسيطة •

الواقع أن الغنى يغرى بالغنى • قد يظن البعض أن قبولي العمل بالاعلانات طفاضة ، فأنا أعيش فى بيت لا أدفع له أجرا ، وأركب سيارة لم أدفع ثمنها ، وكل ما أتكلفه بضعة جنيهات أتظاهر بها أننى أواجه مصاريف البيت • ولكن هذه التكاليف على ضآلتها لم تكن تترك لى من المال ما أستطيع أن أتصرف فيه بمحض ارادتى ، ولم يكن قد مر على زواجى فترة تسمح لى بأن آخذ من زوجتى مصروف جيبى • فاذا لم أعتمد على مواهبى فى الحصول على المال ، فلن يجد هذا المال سبيلا الى جيبى • ووجودى الى جانب زوجتى وأبيها وأمها يرغمنى على أن يكون لى جيب فيه مال ، والا أصبح لونهى غير لائق بقماشهم •



● أما السيدة الثانية فهى نيمت وهبى • • وحقيقة اسمها نعمات حذفت الألف ثم انقلبت العين ياء فكانوا ينادونها نيمت • وهذا المجتمع الذى انضممت اليه يحب أن يجمال الأسماء ويدلل أصحابها ، ولكن هذا لا يمنعه أن يعرف كل خافية من تاريخ عناصره • ثم يلذ له أن يلوك هذا التاريخ لكل جديد وافد عليه • وقد عرفت تاريخ نيمت من الهام عبد المولى ، وعرفت تاريخ الهام من نيمت ، وعرفت من كليهما تاريخ عزيزة راشد •

نيمت حين كانت نعمات ، كان أبوها يعمل فى السكرتارية
فى وظيفة تمكنه من معرفة أسرار رئيسه • وقد كان ينقل هذه
الأسرار فى أمانة الى كبير آخر يؤكد لهذا الرئيس • وحين تم
للكبير ما يريد وأقصى الرئيس عن سلطانه • نظر الى وهبى
عبد العال وأراد أن يبعده عن منصبه ، فالذى يخون رئيسه
فى أمانة ، يستطيع أن يخون رئيسا آخر بنفس الأمانة • وكان
وهبى ذكيا ، وكان يدرك أنه لابد مبعده عن وظيفته ، ولم تكن
وظيفته تعنيه كثيرا فقد كان يضر أن يطلب لنفسه مكانا
قصيا • وتم له ما أراد فعين فى وظيفة تمكنه أن يتصل بالبلاد
العربية ودول الخليج ، وما لبث أن أنشأ تجارة مع هذه البلاد
فى الخردة • وما هى الا لفة صامولة حتى صار غنيا باذخ
الغنى ، وصارت ابنته نيمت لا نعمات • وتكاثر خطاب نيمت
ولكنه بعين راصدة خبيرة كان يختار الأحسن دائما ، فتزوجت
من نجم لامع فى الاتحاد الاشتراكي ما لبث أن صار أمينا
لاحدى الأمانات الكثيرة التى لا أستطيع أن أتذكرها ، ولا يهم
أن أتذكرها •

وللقصة بقية طريفة وان كانت لا تتصل اتصالا مباشرا
بنيمت : أم نيمت وأسمها الست فهيمة ابنة عم أبيها وهبى ،
وعمه هذا هو الذى رياه وقد زوجه من فهيمة مقابل هذه
التربية ، فما كانت فهيمة لتستطيع أن تتزوج أحدا مطلقا
أن لم يكن هناك سبب قوى يجعل من هذا الزواج اعتذارا

كافيا عن قبجها الفادح . وقد انتهر أبوها فرصة تعلق وهبى بالدخول الى الكلية فوضع زواجه من فهيمة ثمنا لهذا التعلق . وقارن وهبى بين قبج فهيمة العبقري وبين جمال ملابس الكلية ووافق على الزواج . وكان العم من أذكاء الريف المصرى الذين يعرفون كيف يصرفون أمورهم ، فاستكتب وهبى كمبيالة بخمسة آلاف جنيه ، وجعل مؤخر الصداق خمسة آلاف أخرى .

وحين اتصلت أسباب وهبى بدول الخليج وأصبح فى مقدوره أن يدفع الآلاف العشرة ، قارن مرة أخرى بين طريقين أن تنهف فهيمة هذا المبلغ مقابل طلاقها ، أو أن يفرش شقة أخرى لفتاة جديدة . تعوضه عن قبج فهيمة الذى لم تستطع السنون أن تجعله يتعود عليه . ولا شك أن الطريق الثانى كان أجمل وأمتع ، ولكن القدر كان يخبىء له مفاجأة أخرى ، فقد جاءت الفتاة التى اختارها محبة للفن ، وتمكنت من وهبى فجعلت منه منتجا سينمائيا وجعلت من نفسها نجمة . وهكذا أصبحت الآلاف العشرة مبلغا لا قيمة له فى غمار ما تكلفه اياه نجمة الشقة الجديدة .

زوج نيمت هو الأستاذ درى عبد الباقي متخرج فى كلية الحقوق ، وهو شاب لبيب قرر فى لحظة ذكاء أن يكون تافها حتى يصبح صالحا لما يعد نفسه له من مستقبل سياسى . ويبدو أنه وفق فى أن يجعل نفسه على قدر من التفاهة أهله أن يكون فى الصفوف الأولى من الاتحاد الاشتراكى . وقد صادقني

الرجل وأنس الى وصار يلقي الى بدخيله نفسه . وكم دهشت لما عرفت هذه الدخيلة . لقد كنت أتصور أن رغد العيش الذى يحيا فيه يجعله فى هناة دائمة ومتمعه لا مثيل لها ، فاذا به أجد الرجل يحيا فى خوف دائم . فهو يترقب اليوم الذى يترك فيه منصبه فى ذعر واجف هالع ، فقد تعود حياة بعينها فيها لين وفيها رخاء ودعه ، ولا سبيل له أن يبقى على هذه الحياة لو أنه عاد الى الحمامة . وهكذا يحسن درى أن حياته معلقة بأن يبقى فى منصبه هذا ، فهو يبذل ما يملك وما لا يملك من كرامة ، ويهدر كل قيمة ، ويتغاضى عن أى معنى من معانى الرجولة أو الشرف ليبقى فى هذا المكان .

وتقول نيمت الى حين جلست اليها ان خوف الرجل وهلمه ينعكسان عليه فى حياته وفى خاصة تصرفاته ، حتى لقد أصبحت تشعر أنها تعيش مع رجل نصف مجنون يحاول جهده أن يحافظ على النصف الآخر من عقله بجهد فائق ، حتى لا تحل به الكارثة . وأحس من نعمة صوتها أن شيئاً من الاحتقار داخلها بشأنه ، فلا أوغل فى الحديث ولا أدعها توغل حتى لا ينهار الرجل جميعه أمام عينيها .

ولكننى أدرك قبل أن تنتهى من حديثها ، أنها تشجعه على أن يحصل على كل ما يستطيع من مال ، ليجد بعض الأمن حين يأفل نجم الوظيفة . وأدرك أيضا أن الرجل لا يحتاج الى تشجيع فى هذا المضمار .

وأوشك أن أتساءل : لماذا هذا الخوف جميعه وزوجته على درجة من الغنى تستطيع أن ترد عنه كيد الحاجة ، ولكننى لا ألبث أن أجد الجواب • فان الغنى ليس غنى نيئت أو نعمات ، وانما هو غنى أبيها وهبى ، وهبى غارق لأذنيه فى انتاج أفلام لصديقتة الجديدة التى أصبحت قديمة ، وهبى مستعد أن يمد زوج ابنته بالمال ما ظل زوج الابنة هذا فى منصب مرموق • فان زال عنه المنصب ، فان وهبى لا يرى داعيا مطلقا أن يعطى درى شيئا • وبعبارة أخرى — ان كان لابد من عبارة أخرى — أن وهبى مستعد أن يعطى صهره كل مال ممكن ما دام صهره فى غير حاجة الى مال ، وهو حابس عنه كل أنواع المال حين يصبح محتاجا لأى نوع منه •



● أما عزيزة راشد فسيدة من نوع خاص ، وزوجها أيضا خيرى عبد المولى من نوع خاص •

عزيزة راشد سيدة تركت الحلقة الرابعة من عمرها منذ سنوات قليلة ، وهى ذات جمال صارخ باذخ • وهى تعلم فى نفسها هذا الجمال فتلفه بكل أناقة ، وتزين نفسها فى سرف ومراعاة •• كان أبوها موظفا من كبار موظفى مصلحة البريد حين تزوجت خيرى الذى كان فى الدرجة الخامسة يومذاك •• وقد خرج الأب الى المعاش بعد أن صار فى درجة وكيل

للووزارة ، واستطاع قبل أن يخرج أن يثب بصره الى الدرجة الثالثة .

والذى يلقي نظرة عاجلة الى خيرى ، يجده متجههم الوجه توحى ملامحه بالصلف والغلظة . . وقد استطاع بمظهر الصلف وبالففاق أن يصبح هو أيضا وكيلا للوزارة قبل أن يمسى فى الخمسين من عمره . ومنصبه يمكنه أن يتصل بالعالم الخارجى ليعقد الصفقات لشئون وزارته . . وهو لا يسرق فى هذه الصفقات وانما ينال العمولة التى يعتبرها هو حقا ويراهها القانون رشوة . ولما كان لابد لهذه العمولة أن تصل اليه فى خفية رسمية من القانون ، فقد كان ماجد راشد أخو الست عزيزة هو الذى يحصل له عليها . فماجدا راشد متخرج فى كلية التجارة وصاحب مكتب محاسبة فى ظاهر الأمر ، ولكن مكتبه فى الحقيقة متفرغ للصفقات التى يعقدها زوج أخته ، والننى ينال هو عمولتها بعد أن يخضم نصيبه منها . وقد استطاع هذا النصيب على ضآلته النسبية أن يصبح عمارتين ، وأن يصبح غنى خياليا يعيشه ماجد .

أما خيرى فشأنه فى البيت عجيب ، فأوامره صارمة ، وكلمته حاسمة ، وإشارته قاطعة . والست عزيزة تخشاه كل الخشية ، وتصغى لأوامره وكلماته فى احلال واكبار وتوقير ، وهى مع كل هذا تصنع به ما تريد من خلال حبه للعظمة .

فالظاهر فى أمرهما أنه صاحب رأى ، والحقيقة أنها تسحبه من أنفه الى كل ما يعلن لها وهو بهذا ، سعيد كل السعادة .. وهى أيضا بهذا سعيدة كل السعادة .

كان هؤلاء أصدقاء النادى وقد توطدت بيننا الأواصر ، فكانت تحية تدعوهم الى بيتنا وكنا نلبى دعوتهم ، حتى لنكاد نلتقى فى كل ليلة . وكان ماجد دائما معنا فى كل دعوة ، وقد كان أيضا يدعونا لفيئاته الفخمة التى تعلى عمارته الشاهقة بالمنيل .

ورغم أن أصدقاء كل ليلة كانوا لا يتغيرون ، فاننى لم أشعر بالملل مطلقا ، فان لكل منا منحى فى الحياة ومتجها . فاذا جمعنا الليل فلكل منا حديث وتعليق ، والحديث حر لا خوف به ولا توجس ، وان كان درى يهمس به دائما . والتعليق ذكى عميق ، فجميعهم للاح يستخدم ذكاءه طريقا الى الثروة ، ولا يحرم نفسه من التعليق الذكى على هذه الحياة التى تمكنه من الوصول الى مبتغاه .

وقد استطاعت الاعلانات التى أصبحت أحصل عليها منهم ومن أصدقائهم بانتظام ، أن تجعلنى أشعر أننى ند لهم ، وأننى أستطيع أن أجلس اليهم وأنا مطمئن الى غدى الشخصى . ولعل هذه الصداقة ، وانشغالى بأعمالى فى الصحيفة ، وحياة تحية الاجتماعية المزدحمة لعل هذا جميعه ، جعل

الزواج بالنسبة الى متعة لا تنغيص فيها ولا كدر .. فأنا
لا أكاد أذكر أننى وتحية اختلفنا فى شىء ، فكلانا على
شوق حين نلتقى ، ولا يدركنا الملل من أوقاتنا • واستطاع
الشباب أن يضيف على أيماننا بهجة ، فما عرفنا الطبيب الا حين
حملت تحية فى طفلنا الأول •



قال رئيس التحرير :

— عليك أن تغطي لنا أخبار الاتحاد الاشتراكي •

— أنا يا أستاذ عبد الحليم ؟

— نعم أنت •

كنت واقفا فجلست •• لقد عملت بهذه الجريدة لأكتب في
الأدب ، فما صلتى أنا بالاتحاد الاشتراكي ؟ أقسم بالله أننى
ما عرفت — وما أحسب أحدا يعرف — ما عمل الاتحاد
الاشتراكي •

— ولكنى أكتب فى الأدب •

— وهل عمولة الاعلانات أدب ؟

سكت • ولم يسكت رئيس التحرير :

— ألا تريد علاوة ؟

— وهل لابد من الاتحاد الاشتراكي ؟

— لابد ••

— هل لى أن أكتب عنه ما أشاء ؟

— على ألا يصل ما تكتبه الى أن تطرد من الجريدة •



واستطاع الشباب أن يضيفى على أيماننا بهجة ا

— وهل أوقع باسمى ؟

— ألا تريد أن توقّع ؟

— طبعا لا أريد •

— ولكنك ستوقّع •

— أمرك ••

وأصبحت فجأة مسئولا عن الاتحاد الاشتراكى فى
الجريدة • حاولت فى أول الأمر أن أكون محايدا لا أهاجم
ولا أمدح ، ولكن هيات يصلح هذا للجريدة ، فرئيس التحرير
رجل لا تجوز عليه هذه الألاعيب • انه يطلب مقالات واضحة
الاتجاه لا لبس فيها ولا حياد • وكتبت •• وكنت واضحا ••
ونلت العلاوة •

حين قبلت أن أعمل بالاعلانات لم أحس بالغضاضة
الشديدة ، شاب فقير يعيش فى جو غنى ويحاول أن يحصل
على المال عن طريق شريف • ولكننى حين كتبت المقال الأول
عن الاتحاد الاشتراكى ، أحسست أننى عاهرة تبيع نفسها
مرغمة لمن لا تحب • ولأزمنى هذا الشعور فترة ثم راح
يتلاشى ويتهافت ويتخفى حتى اختفى أو كاد ، وأصبح الأمر
طبيعيا • لقد تلاءمت مع الجو الذى أعيش فيه بعد أن كنت
غريبا عنه • والعجيب أن اتصالى بالاتحاد الاشتراكى جعل
لى سلطانا واسعا ، وعاد على بئراء يتضاءل بجانبه كل ما حصلت
عليه من الاعلانات ، ووجدتنى فى مدى شهر قلائل جالسا

أمام كاميرات التلفزيون ، واذا أنا نجم • ولكن العجيب ان شعورى بأننى عاهرة عاودنى مرة أخرى ومذيع التلفزيون يسألنى وأنا أجيب • لماذا عاودنى هذا الشعور بعد أن كنت نسيته ؟ • لا أدري • ما الذى قذف بهذا الشعور الى كيانى ؟ • ألح على هذا الاحساس ورحت أفكر فيه بجدية شديدة • • حين كتبت ما لا أريد أن أكتب ، وحين حملت اسمى ما لا ينبغى أن يحمل ، كان طبيعيا أن أحس بهذا الشعور • ولكن ما الذى طفا به الى تفكيرى وأنا نجم أمام التلفزيون ؟ لعلى أدركت على غير وعى منى ، أن الذى جعلنى أجلس أمام كاميرات التلفزيون هو أننى بعث ضميرى ورضيت أن أكون سلعة • ولكن أى عجيبة فى ذلك ؟ انى ابن عصرى وربيب جيلى وأنا الأئثم نفسى مع هذا العصر وذلك الجيل ، وان لم أفعل داستنى الأقدام ، وان حاولت أن أشرئب الى السماء — أى سماء — فمصيرى الأهوال الآخذة ، أيسرها السجن وأقلها الموت • وبين الموت والسجن الوأن من العذاب لم تسمع بها البشرية • ويكفى أن أفكر — اذا جاز لى أن أفكر — فى أن الاعتداء على تحية أمر غير مستبعد ، وحسبى هذا • ثم أنا لا أريد أن أكون بطلا قوميا • ليكن غيرى بطلا قوميا اذا أراد ، وسوف أصفق له فى الوقت المناسب والمكان الملائم • أما أنا فأريد أن أرى طفلى هذا الذى يحبو فى ظلمات الغيب ، وأريد أن أظهر على شاشات التلفزيون ، وأريد أن أستمتع بالناس

يشيرون الى" ، وبأصدقائي يهتئوننى على روعة الحديث الذى قدمته فى التلفزيون * وأريد أن أجلس الى هؤلاء الذين أصبحت صديقا لهم أشار بهم ويرضون غرورى ، وأمازحهم ويسكبون على" مع مدبحهم الأموال ، فقد أصبح لى لسان فى الاذاعة والتلفزيون ، وأصبح لى مكان ثابت فى الجريدة ، فان لم ينل مثلى الأموال فى غدق وبحبوحة فمن ينال ؟ ؟ .

نسخن واحد كان بيتسم ابتسامة ساخرة كلما ظهرت فى التلفزيون *

- ألم تكن تريد أن تكون أدبيا ؟ *
- غفقد صرت أدبيا *
- بالظهور فى التلفزيون ؟ *
- ألا يدل ذاك على أننى صاحب قلم ؟ *
- هل تفهم ما تكتب ؟ *
- الناس تفهمه *
- هل تفهمه أنت ؟
- لا يهم *
- كيف يفهم الناس كلاما لا يفهمه قائله ؟ *
- لا يهم *
- أين الأدب فيما تقول أو تكتب ؟ *
- ألبس أدبا ؟ *
- الأدب كتاب .. هل أكملت روايتك ؟ *

— مزقتها ••

— لتكتب غيرها •• هل كتبت شيئاً ؟ •

— سأكتب ••

— اذا كتبتها •• سأحكم أن كنت أدبيا أم لا •

— والآن ؟ •

— أنت أقل من لا شيء •

— اننى أكسب مالا •

— أنت يد تصفق وسط عاصفة من التصفيق ، وصوت

ضائع يصرخ بالهتاف وسط أعاصير من الهتافات •• أنت أقل
من لا شيء •

وهكذا أصبحت أقل من زيارة أبى حتى انقطعت عن هذه
الزيارة ، الا فى المناسبة التى لا قبل لى بتجاهلها •

أما زوجتى وحماتى وعمى نصر فقد كان فخرهم بى يفوق
كل حد • لقد أضبحت تحية ولا حديث لها الا تعليقات الناس
على ما أقول أو أكتب ، وقد أبت فرحتها هذه أن تخبو أو يخفت
بريقها ، وكانت حماتى تتولى الدعاية لظهورى فى التلفزيون ،
فما أن تعرف مواعده حتى تضع يدها على سماعة التلفزيون
والأخرى على قرصه لا تفلتها أو يكون جميع الأقارب والأصدقاء
والمعارف على عام بالموعد • وحين ينتهى الحديث تعود مرة
أخرى الى سماعة التلفزيون وقرصه لتعرف رأيهم أو لتسمع
مديحهم ، فما لهؤلاء حميما من رأى يقال •

الغريب فى هذا جميعه أننى أصبحت مقتنعا بما أعمله . .
أصبحت مقتنعا به جميعا لا أستثنى شيئا . أنا مقتنع بما أكتب
وبما أقول وبظهورى فى التلفزيون . وهذا نوع عجيب من
الاعتناع فأنا لا أدافع عن فكرة بعينها ، ولا أتقدم للناس برأى
معين ، فاقنعنى ليس بما أقول وإنما أنا مقتنع أنه لا بد لى أن
أقول شيئا ، ولا يعينى من بعد ما هذا الذى سأقوله . فأنا
متلا منذ كنت تلميذا فى الجامعة لا أميل الى الشيوعية ،
ولا أحب المثل القائل « المساواة فى الظلم عدل » . فأنا
لا أتصور العدل قربنا للظلم فى جملة كلام أو فى الحياة .
وقد كنت أسخر من الشيوعيين قائلًا : لماذا لا تقولون المساواة
فى الفقر ظلم ، فيستقيم لكم الكلام والرأى جميعا ؟ ولكنى
فى الجريدة أدافع عن الشيوعية بحرارة ، وأغلب أصدقائى من
المنتسبين اليها أو من الذين يدعون الانتماء اليها . والحقيقة
أننى اضطررت لدراسة الشيوعية دراسة متعمقة مستوعبة ،
ونادرا ما وجدت واحدا من الهاتفين بها قد درسها ، وإنما
هم جميعا يشقشقون بها . ولولا أن البيغاء طير جميل ، لقلت
أنهم كالبيغاوات ، فإن أحدا منهم لا يفهم الشيوعية ، ولم أر
بينهم من يقبل أن يطبقها على نفسه ، اللهم الا إذا طبقت عليه
الحياة صنوف الفقر والهوان ، فهو حينئذ داعية طبيعى لها ،
ومن يصب منهم غنى يعيش فى بلهنية وسعادة يحسده عليها

أصحاب رؤوس الأموال الضخمة • ولم أجد بين الذين أثروا من الشيوعية في مصر من أشتري سيارة من روسيا أو ألمانيا الشرقية ، وإنما لا بد أن تكون السيارة منتسبة الى بلد رأسمالى أصيل • فهم يستوردون الآراء من روسيا ، ويأبون أن يستوردوا منها نتائج هذه الآراء • ولكن الأمر الذى جعلنى أنفصل عنهم لولا لقمة العيش ، أننى تبينت فجأة أن ولاءهم الحقيقى لروسيا أو للصين ، وليس بينهم من ينتمى بولائه لمصر • والعجيب أنهم قد كونوا صفة لمن ينتمى بولائه الى بلده ، وهذه الصفة تعتبر عندهم شتما وهجوما • فحب وطنك والتفانى فى هذا الحب يسمى عندهم « شيفونية » ، نسبة الى فرنسى كان يحب وطنه حبا صادقا • فحب الوطن اذن عندهم جريمة لا تغتفر ، فهم جماعة من جنسية غير مصرية ، وهم بلا دين ، فلا شئ يصلهم بمصر مطلقا • ولا أدري بأى حق يتكلمون عن مصر وقد انسلخوا عنها بالدين والعاطفة والولاء ؟ ولذلك فأننى أعتقد أن صفة المصرى لا تنصرف الى الشيوعى ، فاذا قلنا المصريين فأننا انما نعنى من ليس شيوعيا فى مصر ، وهؤلاء فى الحق هم مصر • أما أنا فقد كنت أنظاها بتأييد آرائهم لأنه لا بد لى أن أبدا متمسكا بهذه الآراء اذا كنت أريد أن أعيش فى مصر • ولست وحيدا فى هذا التباين بين الرأى الحقيقى والرأى المعلن ، فأغلب الذين كنت معهم يرفعون

شعارات لا يؤمنون بها • صحفي وأحد كنت أجده صادقا فيما يكتب هو محرر الرياضة • وعلى رغم كرهى للرياضة فقد أحببت صديقى نديم ، فهو متحمس كل التحمس للكرة ، صادق هو فى هذا التحمس ، حتى ليصور لك الدنيا جميعا ستتقلب رأسا على عقب اذا لم يلعب اللاعبون بجدية وأمانة • وكنت فرحا بصديقى وتمحسه ، فقد كنت أجده فيه الشيء الذى أفتقدم فى جميع المحيطين بى فلا أجده •





حتى ليصور لك الدنيا جميعا ستتقلب رأسا على
عقب ، اذا لم يلعب اللاعبون بجدية وأمانة .

حين توقفت سيارتى فى الاشارة ففتح بابها فجأة ودخلت الى جانبى حميدة دعبس • ذعرت اا فحميدة سيدة معروفة ، وأنا فيما يخيلى الى — أصبحت معروفها مثلها — ماذا سيقولون ان رأونى معها ؟ كانت صلتى بحميدة قد انقطعت منذ تزوجت ، فقد كنت أذهب اليها فى كل شهر مرة أقضى عندها فترة مع فتاة تختارها هى لى ، وأشهد كان اختيارها دائما موفقا • وقد توثقت الصداقة بينى وبين حميدة ، وان كانت هذه الصداقة لم ترحمنى من دفع ما تفرضه على دون مناقشة • وكان اعجاب حميدة بى مبعثه أننى لم أحاول فى يوم من الأيام أن أتعرف بالفتاة التى تقدمها لى ، أو أتدسس على كنهها وأصلها • فالواقع أنه لم يكن يعنينى منها الا الفترة التى أقضيها معها فى بيت حميدة ، ثم يذهب كل منا الى حال سبيله •

وحين تزوجت انقطعت صلتى بحميدة تماما • وقد أدركت حميدة وهى تركب مقدار الذعر الذى أحاط بى :

— مالك خائفا كل هذا الخوف ؟ •

— يا ست حميدة ألا تعرفين ؟ •

- وهل تثير امرأة فى سننى كل هذا الذعر ؟ •
- لا •• ولكن امرأة فى شهرتك تثير الهلع •
- وانت أيضا أصبحت مشهورا •
- أكل عيش ••
- نحن فى الهم سواء •
- الى أين يا سننى حميدة ؟ •
- الى بيتى •• لا أجد ما أركبه فلا بأس من اللجوء الى صديق قديم ••
- تحت أمرك •• ربنا يستر •
- هل ما زلت فى شهر العسل ؟ •
- أنا متزوج على كل حال •
- لم يكن بين زبائنى الا قلة نادرة من العزاب •
- وكيف حال زبائنك الآن ؟ •
- أى النوعين تقصد ؟ •
- كلاهما ••
- أمثالك يزدون •
- والجنس الآخر ؟ •
- يقل ••
- خير •• لماذا ؟ •
- البنات أصبحن لا يملن للتعامل مع المصريين •
- مفهوم •• وأنت لماذا لا تتعاملين مع من يردن ؟ •

— هذه طيور برية تعرفك اليوم ولا تعرفك غدا .. أما
الزبائن من أمثالك فمثل الحمام الذى يعرف برجه ويأتى اليه .
— فلسفة معقولة .. ولماذا لا تقنعين البنات بذلك ؟
— ليس عندهن وقت .. انهن يعملن فى هذه الصنعة لمدة
سنتين أو ثلاث بمقدار ما يحصلن على مصاريف الجهاز ، ثم
يتزوجن .

— ألا يعملن عندك بعد الزواج ؟
— مثلك ، وكأنى لا أعرفهن ولا يعرفننى .
— ولماذا لا تلجئين الى المحترفات ؟
— أولا أسعارهن ارتفعت أكثر من اللازم ، وزبائنى
لا يحبون أصنافهن .. ألا تعرف لى مكانا أستورد منه
الفتيات ؟

— أنا يا ست حميدة ؟
— هذه هى المصيبة . الذى يعرفنى لا يجب أن يخبر أحدا
أنه يعرفنى .. أتصدق بالله ؟ ودين النبى لو أنك على سبيل
المزاح ذكرت عنوانى فى المجالس التى تجلس فيها ، لجاءت
الى الفتيات وأصبحت وأنا لا أعرف ماذا أعمل بهن .

— أنا يا ست حميدة ؟
— الأمر الله .. النهاية وأنت الى متى ستظل مقاطعنى ؟
— والله أظن أننى لا أستطيع أن أجيء اليك .
— يتعباً لك .

— نعم؟؟ !

— المهم .. زرنى لمجرد الزيارة .

— يصح : ولو أن المسألة صعبة ، فأنا أخشى ..

— مفهوم .. مفهوم .. وعلى كل حال سأراك .

— كيف ؟

— لا تخف .. لن أجيء إليك ، ولكن من المؤكد أنني

سأراك .. اسم النبي حارسك ، أنك لم تنس البيت .. تسلم

لى يا سى أيمن .. اسمع ! حين تحس أنك تريد أن تجيء

لا تتردد .. كل ما أطلبه أن تأتى فى الحال .. مع السلامة .



تعود عمى نصر بك أن يمر بنا كثيراً فى جناحنا • وقد زاد من هذه الزيارات منذ ولد ابننا شهاب ، حتى لقد كان فى كثير من الأحيان يجدننا نائمين فيذهب الى شهاب ويجلس اليه يلعبه ما شاء أن يجلس ، ثم ينصرف دون أن يسأل حتى ان كنا قد استيقظنا أم ما زلنا نائمين • • وكان كثيراً ما يأتى وهو يعرف أننا بالخارج ليزور شهاب • وقد استطاع بنفاقه أن يجعل شهاب يتعلق به أكثر من تعلقه بى ، بل بأمه •

فلم يكن غريباً أن نجد عمى نصر بك جالساً بحجرة شهاب عند عودتنا من زيارة الطبيب • وضحكت تحية فى وجه أبيها :

— أبى ادخر بعض تدليك •

— لمن أدخره ؟

— لى أنا •

— دعى زوجك يدلك •

— طيب • • ادخره لأخى شهاب أو أخته •

— الله • • عملتوها ؟

— ربنا هو الذى عملها •

— أهلا وسهلا •• مبروك يا ستى ، مبروك يا سى أيمن ••
مبروك يا سى شهاب •• انتظر الأخ •

وكأنما لم يعجب شهاب بهذا النوع من المزاح ، فاذا هو
دون أى تريث يهوى على خد جده بكفه كله •• صرخ الكف
على وجه نصر بك •• وذهلت من هذه القوة التى يضرب بها
الولد جده ، ونظرت الى عيني نصر بك ورأيت فيهما الألم ••
ولكن هى الهنيئة لا تزيد ، ثم وفى لحظة خاطفة شحبت معانى
الألم من عينيه لتبدو مكانها اشعاعات السرور التى ما لبثت
أن تعالت ضحكا مرحا عاليا :

— كذا •• طيب يا سيدى •• يا ولد يا مغفل انك حين
يأتى أخوك لن تجد غيرى يدلك •

وفوجئت بشهاب يضحك ملء شذقيه ••
ويلتفت نصر بك الى " وهو يضحك لا يزال :

— مر على " غدا فى المكتب •
— خير ؟

— طبعا خير •• ستعرف كل شئ ••
وقالت تحية :

— بابا أصبحت أنا الغريبة الآن •

— كلام الرجال لا شأن للنسوان به •

— كذا ؟ • طيب ••



لم يكن عمى نصر بك وحده حين دخلت حجرته •• ولم يكن الحديث الذى يجرى بينه وبين الموظف يهمنى •• ولم أكن قد زرته كثيرا فى مكتبه : فلم يتح لى من قبل أن أستوعب أناقة الحجرة ، فانتهزت هذه الفرصة ورحت أقلب نظرتى فى كل شىء •• الغرفة كبيرة •• كبيرة وليس فى هذا جديد بالنسبة الى •• انما الجديد مقدار الأناقة فى أثاث الغرفة • لقد كان كل كرسى فيها تحفة من التحف • ولكن الذى فاجأنى أننى وجدت بالغرفة أربعة أجهزة تكييف الهواء •• لم أكن قد أحصيتها عددا قبل اليوم ، وقبل أن أفرغ من دهشتى كان عمى نصر بك قد فرغ من حديثه مع الموظف ، وانفردت به وبى الغرفة والأجهزة الأربعة لتكييف الهواء ••

— هيه يا سى أيمن !

— تحت أمرك •

— ما رأيك تعمل معنا هنا ؟

— والجريدة ؟

— مالها ؟ •

— أتركها ؟؟

- من قال لك اتركها •
- آه •• وماذا تريدنى أن أعمل ؟
- مديرا للعلاقات العامة والاعلانات •
- وهل هذه الوظيفة خالصة ؟
- أصبحت خالصة ••
- تقصد ••
- منذ تزوجت أنت تحية وأنا أحاول أن أبعد عنها الموظف الذى كان يعمل بها •
- من أجل ••
- من أجلك ••
- فقط ••
- ولسبب آخر لابد أن تعرفه •
- وهو ؟
- يا سيدى مدير العلاقات العامة هذا يتقاضى عمولة على الاعلانات •
- رسميا ؟؟
- ماذا تقصد بقولك رسميا ؟
- أقصد أنها عمولة تعرف بها الشركة رسميا •
- تعرف بها الشركة نعم ، أما رسميا فلا •
- يعنى هو وشطارته •
- شاطر •

ومد ما بين الطاء والراء ذلك المد الساخر المعروف فى
لهجتنا نحن المصريين !

- طبعا سعادتك لم تقبل •
- لم أقبل ماذا ؟
- أن يسمس على الشركة •
- وما العيب فى هذا ؟
- رشوة ؟ •
- من قال ؟ •
- ليست رسمية •
- هل خسرت الشركة شيئاً ؟
- لا أدرى •• ولكن أظن ••
- اذن فما البأس أن ينتفع أحد موظفيها ؟
- يعنى سعادتك كنت موافقا على هذه العمولة ؟
- طبعا ••
- اذن لم جعلت الموظف يترك عمله ؟
- طمّاع •
- كانت عمولته كبيرة ؟
- جداً •
- فسعادتك لم يعجبك طمعه ؟
- على العكس •
- كيف ؟



منذ تزوجت أنت تحية وأنا أحاول أن أبعد
عنها الموظف الذي كان يعمل بها ! ..

- هو يزيد العمولة على الذين يقومون للشركة بالاعلانات ♦
- اذن فالشركة لا تخسر شيئاً ♦
- طبعا لا تخسر شيئاً ♦
- ولكن ألا تظن أن الجهات التي ستقوم بالاعلانات ستضيف هذه العمولة على أجر الاعلان في بنود أخرى ، دون أن تذكر كلمة عمولة ؟
- طبعا ♦
- انا فالشركة هي التي ستخسر آخر الأمر ♦
- وليكن ا. وهل كانت شركة أبى ؟
- اذن لماذا أبعدت الموظف ؟
- قلت لك طمّاع ♦
- آه .. فهمت ♦
- يا سلام .. أخيرا ؟
- كم كان يدفع لسعادتك من العمولة ؟
- خمسة وعشرين فى المائة ♦
- فعلا طمّاع ♦
- من .. ؟؟
- الموظف ..
- ما رأيك أنت ؟
- هل ستأخذ .. ؟

- نحن هنا فى عمل •• زوج ابنتى هذا فى البيت •
- أنا زوج ابنتك وأبو شهاب •
- كله لشهاب •
- اذن كم تريدنى أن أدفع ؟
- قدرها أنت •
- طبعا مثل الموظف السابق غير معقول •
- ولماذا اذن فكرت فيك؟ •• تعرف لقد فكرت فيك منذ تقدمت لتحية •• قلت هذا هو الذى يستطيع أن يشغل هذه الوظيفة وليس غيره • وساعدتنى أنت بأن أصبحت من رجال الصحافة المعدودين ••
- حتى لا أضيع وقت سعادتك •• أن دفعت خمسين فى المائة أكون ••
- أليس كثيرا ••؟
- لا •• أبدا •• كله لشهاب •
- ويقهقه نصر بك قهقهة عالية وهو يقول :
- على رأيك •• كله لشهاب •

حين دخلت الى مكتبى فى الشركة لم أكن أتوقع أن تكون
نيمت هى التى تنتظرنى ، فقد أنبأتنى السكرتيرة أن سيدة
بانتظارى • ولم أدهش فقد توقعت أن تكون فتاة ممن يعملن
فى الاعلانات تريد أن تحتال بجمالها لتنال منى اعلانا لمجلة
لا يعرفها أحد •

فحين طالعتنى نيمت جالسة أمام مكتبى تولانى نوع من
الدهشة ، فقد كانت ليلة أمس تجمعنى واياها مع أصدقائنا
الآخرين ، ولم تشر فى جلستنا التى امتدت ساعات طويلة أنها
ستزورنى • ترى كيف استطاعت نيمت أن تصنع هذه
الابتسامة ؟ • ابتسامة من نوع خاص ، فوجهها كله أشراق
حتى ليخيل اليك أن كل مكان فى جسدها يشرق بابتسامتها
تلك • وفى لمحبة عجيبة تصيدت الدهشة التى لا أشك أنها
ارتسمت على وجهى لمدة لحظة أو أقل ، ان كان هناك أقل :

— أعرف أنك لم تكن تتوقع •

— ولكن هذا لا يمنعنى أن أكون سعيدا •

— جملة محفوظة •

- هي التي وجدتها الآن •
- المهم •
- المهم ؟
- عندك مصباح أحمر •
- وطلبت الى السكرتيرة ألا تدع أحدا يدخل الى مكتبى •
- وتفرغت مشوقا الى أسباب هذه الزيارة :
- أيمن ، حياتى أصبحت لا تطاق !
- أدرك ذلك •
- لماذا لم تكلمنى ؟
- خشيت أن أقحم نفسى على المشكلة •
- هل تظن أنها مشكلة خاصة ؟
- طبعا هي مشكلة خاصة •
- يا راجل حرام عليك • مشكلة الشرق الأوسط لا يشترك
- فى حلها من الناس قدر المشتركين فى حل مشكلة درى •
- ومع ذلك لم أستطع أن أقحم نفسى •
- أنا أريدك أن تتدخل •
- بأى صورة ؟؟
- أولا ، هل تستطيع أن تخبرنى لماذا أبعد درى ؟
- هل تحبين الشعر ؟
- ابتسمت ابتسامتها المشرقة ، وأخفت فى مقدرة بادرة
- الدهشة على وجهها :

- إذا فهمته •
- قال الشاعر القديم :
- لا تمدحنّ ابن عمار إذا ندبت
كفاه يوما ، ولا تذممه ان حرما
فانها خطرات من وساوسه
- يعطى ويمنع لا بخلا ولا كرما
- اذن فأنت لا تعرف سببا •
- المؤكد أن ابعاده ليس للسرقة أو الرشوة •
- كيف عرفت ؟
- هذه أسباب تدعو لترقيته لا لرفته •
- اذن فأنت تعرف السبب •
- أقسم لك أن الذى رفته لا يعرف السبب • الواقع أن
بقاء شخص ما مدة طويلة دون نقل أو رフト أمر غير مستحب •
- أتعرفين التقارير السرية كيف تكتب ؟
- ومن أين لى أن أعرف ؟
- اذا أراد الرئيس أن يتخلص من موظف يعمل عنده ،
كتب فى تقريره السرى مخبوء من مرعوسية • هذه الكلمات
الثلث كافية لرفته أى موظف ••
- معقول •••
- الحب عاطفة غير مرغوب فيها هذه الأيام • يجب أن



الحب عاطفة غير مرغوب فيها هذه الأيام !

يسود الحقد والدس والوقية والقسوة والطغيان والجبروت
مع اهدار الكرامة والاعتداء على الأعراض •

— نعم أعرف ذلك •

— ويجب أن ندافع عن ذلك كله •

— أيمن ، أنت متألم •

— لا ، أبدا •• فقط أحس أنني قواد فاشل ••

— الظاهر أنك لم تستطع بعد أن تصل الى مرحلة

اللامبالاة ••

— أنا أهرب من نفسى بالجلوس الى تحية والى ابنى

شهاب وابنتى هديل •• تصورى أحسدهم •• أحسد ثلاثتهم •

انهم يفعلون ما يريدون دون أن تعارض نفوسهم ما يقومون

به من أعمال •

وتضحك نيمت ويشرق جسدها ••

— عبد المعين •• حكايتك سودا •

— ألم تعرفى هذا •• الا الآن ؟

— درى لم يشعر بأى حرج منذ اللحظة الأولى • طبيعة

تكوينه ساعدته على الوظيفة التى كان يقولها ، فحين أبعد

عنها أصابته حالة تتراوح بين الذهول والجنون ، وأنا وحدى

من أتحمّل ما بعانيه ، فالأولاد لا يعينهم من أمرنا شىء ما دام

الذى يريدونه موجودا •

— والوالد ؟

— المشكلة الآن ليست مشكلة فلوس •

— آه •• فهمت •• والمحاماة؟؟

— يحاول ولكن فى مرارة ، يخترن المرارة طول اليوم
لتكون طعامنا اليومى •• أيمن ، هل تستطيع أن تكلم أحدا ؟
— أنا •• ؟

— ليس من الضروري أن يعود الى عمله • ابحث له عن أى
عمل يعيد اليه نفسه •

— هل تظنين أنى أتأخر يا نيمت ؟

— أنا أعرف مكانتى عندك •

— طبعا •

— لا تظن أننى لا أفهم •

أرتج على •• لم يكن هناك شىء لتفهمه • وفى نفس الوقت
لم أستطع أن أحطم غرورها •• فالواضح أنها متأكدة أننى أكن
لها شيئا •• طال صمتى •• تعلق عيناها بشفتى •• والموقف
جديد بالنسبة لى •• بل أظن أنه جديد بالنسبة للكثيرين ••
فالمفروض أن يكون مثلى هو البادى •• ويبدو أنها اضطرت
للحديث آخر الأمر :

— أنا أعرف أنك لا تريد أن تقول شيئا ••

ورحت أبحث عن شىء يكون مناسباً • أنا لم أفكر مطلقا

فى نيمت ، بل لعلى لم أفكر فى أحد منذ تزوجت • بل العجيب
أننى كثيرا ما أتساءل لماذا يفكر المتزوج زواجا طبيعيا كزواجى
فى امرأة أخرى غير زوجته واستطاعت نيمت أن تفسر بغيرها
الحيرة التى بدت فى عينى التفسير الذى يرضيها :

— وما رأيك فى شاليه الهرم ؟

وفى ذهول وجدت نفسى أقول :

— هائل •

— نلتقى هناك •

وفى ذهول آخر :

— ماذا ؟

— ما الغريب ؟

— ظننتك تسألين عن موقعه •

وفوجئت بنيمت تنفجر فى ضحكة عالية ، ومرة أخرى
أحسست بكل ثنية من ثنايا جسمها تضحك معها ، تضحك ،
تسخر ، تنادى ، تأتمر ، تطلب ، تأمر ، بعنفوان المرأة تأمر •

وجدتني أريد أن أتمرد ، ووجدتني أعرف لماذا أريد أن
أتمرد ، لقد خنت نفسى فى كل ما أعمل ولا أريد أن أخون
زوجى • ولا بد أن أتمرد • ارتسم على وجهى جمود التمرد ،
وراحت الضحكة تتحول الى نوع من التشنج ، وراحت القهقهة
التي كانت مندفعة هادرة الى الدنيا كلها تنزلق الى داخل

جسدها المهتر ، حتى انتهت الضحكة جميعا وتجمدت نيمت
كتمثال لم يرفع المثال عنه قماشه الميتل * وثبتت فى وجهى نظرة
فيها كره وفيها ضغينة وفيها تكبر بلا كبر ، واتجهت الى الباب
حتى اذا بلغته قالت دون أن تلتفت :

— أورغوار *

وواراها الباب عن ناظرى ، وارتميت على الكرسي منتصرا
لأول مرة على نفسى *



كنت اظن أن السعار فى النادى مقصور على الأدميين ••
وقد مرنت على سعارهم فكنت أدخل الى النادى وكأننى داخل
الى بيتى ، فأنا آمن هادىء مطمئن •

حتى كان يوم طلبت الى ناحية أن أمر بها فى البيت لأصحابها
الى النادى لأن سيارتها كانت معطلة ، فقد تعودنا أنا وهى أن
نلتقى فى النادى عند الظهيرة ومن هناك نتفق ان كنا سنتناول
غداءنا فى النادى أم فى البيت حسب الترتيب الذى تكون تحية
قد أعدته • وقد كان الأمران بالنسبة لى متساويين ، فسواء
عندى أتغديت فى النادى أم فى البيت ، فلم تعد تكاليف الغداء
فى النادى من الأمور التى أبحث فيها الآن بعد أن أثريت هذا
الاثراء •

أنهيت عملى فى الجريدة واتجهت الى الشركة فالتيت نظرة
عاجلة ، ثم ذهبت الى البيت • ووجدت تحية قد أعدت الترتيب
أن نتغدى فى النادى :

— مادام الأمر كذلك فدعيني أقعد قليلا مع العيال حتى
تلبسى •

— أنا لابسـة •

— دعيني أقعد معهم قلبلا والسلام •

— اقعد •• فقط لا تطل القعود • الشلة تنتظرنا هناك •

— الشلة •• من منهم ؟ •

— كلهم تقريبا •

— لن أتأخر ••

توقيت عجيب أصنعه أنا والقدر فى تألف موسيقى • لماذا بقيت مع الأطفال هذه المدة التى بقيتها ؟ و لماذا تغدينا فى النادى ؟ ولماذا تعطلت سيارة تحية ؟ ولماذا تركت الأطفال فى الوقت الذى تركتهم فيه بالذات دون تقديم أو تأخير ؟ أهو قدر ؟ ولكنى أنا وتحية والصانع الذى صنع سيارتنا جميعنا اشتركنا فى هذا التوقيت فهو نحن جميعا • تألف موسيقى كأننا أفراد أوركسترا ضخم • والقدر هو المايسترو يحرك خطواتنا فى توافق ليصل بنا الى أحداث مرصودة لنا • فنحن نشترك فى العزف ولكن لو لم يشترك معنا الآخرون لاختلف النغم • ولو لم يمسك المايسترو عصاه لاختل التوازن ولم تحدث الأحداث • لا يهم أن تكون الأحداث سعيدة أو محزنة ، انما لا بد لها أن تحدث على أية حال •

فان القدر لا يعنى كثيرا أن نكون سعداء أو تعساء ، كل ما عليه أن يقود الأوركسترا ويتم التناغم ويستمر العزف •

بلغت النادى ووجدت مكانا أوقف به السيارة ، وان كان بعيدا بعض الشيء عن قاعة الطعام التى نقصدها • ونزلنا أنا وتحية وأخذنا سمتنا الى أبنية النادى • ونجأة أقبل كلب ينهب الأرض لاهثا يتدلى لسانه من فمه قاصدا تحية ، وكأنما هو يعرفها أو كأنما هو مرسل اليها • ودون أن أشعر بما أفعله وجدتني أخطف تحية الى الخلف وأتصدى أنا للكلب أستقبل هجومه • دفعني بكلتا يديه فى صدرى فكدت ألقى الى الأرض ، ولكننى تماسكت بعد أن تخلجت قدماى • وعاد الى الكلب لا ليدفعنى هذه المرة وانما ليعضى فى ساقى عضه مغيظة ، وأجد نفسى أركله فيجرى محاولا الهرب • ولكننى أصبح أن يمسكوا به ، فثبتت من بين الحراس خبير بشأن الكلاب ويمسك به ويحبسه •

وتجرى التحليلات • • انه كلب مسعور • • وأبدأ فى العلاج ما أهون العلاج بجانب الحب الذى تندى لى من تحية ومن أمها ومن أبيها جميعا •

عادت تحية الى أيام حبنا الأول منذ نحن نلتقى تحت الشجرة الحاملة فى بيت أبيها • لقد أحسست فجأة أن حبنى لها حب تلقائى لا تفكير فيه ، وهو فى نفس الوقت ملئ بالتفكير • أحسست أن الولهة التى دفعتها فيها لالتقى عنها الكلب قد جمعت كل حياتى لتكون وقاء لها ودرعا وحماية • وأحس أبوها

وأحسست أمها أن تحية فى ظل رجل يبذل حياته دون تردد من خوف أو تريث فيحمنى ابنتهما ، فإذا الهدايا تنسكب على ألوانا شتى •

ولكن هذا لم يجعل نصر بك يفكر فى أن يتنازل عن نصيبه فى عمولات الشركة ، فالواقع أن الرجل حازم غاية الحزم فى فصل المسائل العائلية عن أعمال الشركة •

أما حماتى فقد فرحت بى لأنى حميت ابنتها ، وفرحت بى أكثر لأننى أصبحت حديث الجرائد والمجلات لعدة أيام •

أما تحية فهى ونحدها التى تدفقت بحبها على تسجبه ألوانا متجانسة ومختلفة ، ولولا الخل لقلت أننى أرهقت بعض الشئ من هذا الحب ، وإن أكن قد تمتعت به متعة لم أعرفها فى سنى زواجى جميعها ، بل ولا أحسب أننى عرفتها عند السيدة الفاضلة حميدة دعيس •



لا يهم أين كنت : ولا يهم كيف جئت الى بيتى قبل موعدى
بليلة .. لا يهم شئ من هذا .. أنها تفاصيل تافهة صغيرة
حقيرة دبرها الاتحاد الاشتراكى وتحية وأنا وماجد وعصا
القدر الذى يعزف سيمفونية الحياة المقيتة العجيبة المبهتة دون أن
تميت ، والتى تصيب الانسان فى مقتل وتبقى عليه بعد ذلك
جثة تحيا ولا تحيا ، تعيش ولا تعيش ، تسعى على قدمين وهى
من داخلها تحمل الجثمان والكفن والقبر والنهاية •

زوجتى فى أحضان ماجد ! بهذا طالعنى الفراش حين فتحت
الباب • أسرع أغلق الباب ، ثم عدت وفتحته ، ثم أغلقته ثم
فتحته ، ثم ذهلت ، ثم صحت لأجد نفسى أترجع خطوات
لألقى بالببئة الباقية من جثمانى على مقعد • ثم أنا فى عالم
آخر ، أدريه ولا أعرفه ، أعيه ولكنى عذ فى غيبوبة ، أسمع
صوتها فى شهقات ولا أسمع مما يقولان شيئاً • لم يكن هناك
شئ يقال الا الهمهمة والخزى والألم يعتمر كل شئ فى • لكن
لماذا ؟ • • • للجنس ؟ • • • افنى مرهق من الجنس ؟ • • • للحب ؟ • • •
افنى مرهق من حبها ؟ • • • للمال ؟ • • • المال لديها • • • للمتعة ؟ • • •



زوجتى فى أحضان ماجد ! بهذا
طالعنى الفراش حين فتحت الباب

فماذا كنت أصنع طوال الأيام الماضية .. حتى الأمس ..
الأمس فقط ؟ لماذا ؟ .. أنا أشهر منه .. وأنا أجمل منه .. وأنا
أكثر شبابا منه .. وأنا حبها الأول .. المؤكد أنني حبها الأول
.. وأنا أبو أولادها .. وأنا حب الطفلة والصبا والشباب ..
.. صنعنا أيامنا على أيدينا .. وصنعناها كما تشتهي هي أن
تصنعها .. إذن لماذا ؟ لماذا ؟ لماذا ؟

خرجت ولماذا تتدفق مع كريات الدم فى عروقى وفى
ضميرى وفى عقلى وفى كيانى ..

ذهبت الى بيت أبى والليل يقترب من الصباح .. معى
المفتاح لم أخلعه عن جيبى فقد كنت أحس به الشئ النظيف
الوحيد الباقي فى كيانى .. كان هو .. زوجتى اللذين يمثلان
الصدق فى حياتى .. والآن لم يبق الا مفتاح بيت أبى فقط ..
دخلت الى حجرتى القديمة ، وأغلقت الباب ثم أغلقته ، ثم
أثيت بكرسى ووضعت من خلفه وجلست عليه .. لم أكن أريد
الحياة أن تتسلل الى هذه الحجرة ..



كم من الساعات بقيت ؟ لا أدرى .. كم من الأيام بقيت ؟
لا أدرى .. لقد فقد الزمن معناه ، وسقطت الحياة جميعا بعد
أن كانت أمام ناظرى بناء شامخا يشدنى الى ذراه .. وأحسست
كأنى شجرة صوحت وانخلعت جذورها من أعماق الأرض

لتصبح جذورا من العدم ، فهي كلا شيء ، كهياة لا معنى لها ولا كيان ولكنها مع ذلك موجودة ، شائثة هي في وجودها ، عقيمة طزيلة ككلمة لا تقال من فم أبكم تصدر والى أذن سماء تذهب . وهذه اللماذا ما زالت ترج كيانى كله ، تزلزله فى ضربات طاغية منتظمة أوقع رتيبة الميقات ، ولا أطيق منها فككا ولا عنها منصرفا .



حين خرجت من الحجرة كانت الحياة قد تكونت أمام ناظرى بشكل جديد ، وكنت قد دبرت فى خلوتى كل شيء .

أخبرت أبى وأمى أننى تارك زوجتى لأننا غير متفقين . لم أحب أحدا غيرى ن يعرف أن أم هديل وشهاب عاهرة ، بل أحقر من عاهرة ، فقد تجد العاهرة سببا لعهرها ، وقد تجد الخائنة سببا للخيانة من كره لزوجها ومن فارق سن بينهما أو من سوء خلق له ، ولكن أم أشرف وهديل عاهرة لغير ما سبب من هذه الأسباب التى قد تقيم عذرا لها أمام نفسها أو أمام بعض الناس . أنها عاهرة بسبب لا أعرفه حتى الآن ولكنى مصمم على أن أعرفه . وعلى كل حال فلا ذنب لأشرف وهديل أن تطالعهما الحياة بهذه السمعة .

خرجنا من بيتنا وركبت سيارتى . نعم السيارة التى أهدتها لى . أننى الآن أكثر استحقاقا لها . لقد دفعت فيها كرامتى بجانب الكثير من شبابى . وذهبت الى المأذون وأتممت

اجراءات الطلاق وأرسلت الورقة بالبريد المسجل المستعجل *

ثم توجهت من مكتب البريد الى :

— أهلا .. ألم أقل لك أنك ستأتى ؟ *

— وقد أتيت *

— طلباتك ؟ *

— ستدهشك طلباتى يا ست حميدة *

— لن تستطيع أن تدهشنى أبدا *

— سنرى *

— قل ..

— أريد أن أتعرف بسيدات شابات *

— لا غرابة فى ذلك *

— متزوجات *

— غريبة بعض الشئ ! ولكن لا بأس *

— وأريد ..

— قل *

— أريدن على حب مع أزواجهن *

وفجأة صعد الى وجه الست حميدة زوع من الحب تخالطه

آثار من الشفقة جاهدت أن تخفيها: * ومن خلال هذا الجهد

وثبت الى عينيها دمعات فلوت رأسها مسرعة ، ثم عادت بها

منكسة وهى تقول :

— طلباتك موجودة يا أبنى ..

حين التقيت ببهيرة فى الغرفة التى خصصتها لنا الست
حميدة راحت فى عجلة تفلح ملاعبها ، فعاجلتها :

— فيم العجلة ؟ •

— لابد أن أرجع إلى بيتى بعد ساعه على الأكثر •

— سأجعلك تذهبين فى الموعد •

— كيف ؟

— معى سيارة •

— وأنا معى سيارة •

— أريد أن أتحدث اليك •

— ألهذا جئنا إلى هنا ؟ •

— أحببت أن أتعرف بك •

— لماذا ؟ ••

لم أدر ماذا أقول ولم تسكت هى :

— نهاية التعارف بين امرأة ورجل أن يصل إلى هذا ،

وما دمت قد وصلت فماذا تريد من التعارف ؟ •

— ربما كنت أريد أن أتحدث اليك •

— وهل هنا مكان صالح للحديث ؟ •

— فعلا لك حق •• اخلعى ملابسك •

ووجدتني فجأة أرغب عن الحديث وأستهي أن أفرغ بين
أحضان هذه المرأة التي أراها لأول مرة ، كل هذه العفة التي
ألزمت نفسي بها فترة زواجي من تحية •• وحين جلست قلت
لها :

— أريد أن أزورك في بيتك •

وسكنت وراحت تلبس ملابسها في صمت ، وسيطرت على
ذهني هذه اللماذا التي لا تريد أن تفارقني والتي أخالها
ستقتلني في أتونها :

— هل زوجك شاب أو رجل عجوز ؟ •

ودون أن تلتفت الى :

— عجيبة اهتمامك هذا بزوجي •• ألا أكفيك أنا ؟ •

— أريد أن أعرفك •• أن أكون صديقك •

— ان صداقة تقوم بيني وبينك من طبيعتها أن تنتهي بهذا

الذي كنا نفعله الآن •

— هناك ناس يحبون أن يبدعوا من النهاية ••

— هذا لا يكون الا في القصص •

— وأنا أكتب القصص أحيانا •

— أنا أعرفك •

— لماذا لم تقولي ؟ •

— ليس من المفروض أن أقول *

— من الذى فرض هذا *

— أصول العلاقة التى تقوم فى بيت الست حميدة *

المفروض أنه لقاء عابر ينهم وينتهى ويمضى كل الى حال سبيله *

— فاذا أردت لهذه العلاقة أن تتطور ؟ *

— أكون بهذا قد خنت السيدة حميدة *

— وأنت لا تحبين أن تخونى الست حميدة *

لَمْ تَجِبِ ووجدت نفسى مضطرا أن أقول :

— واذا استأذنت أنا الست حميدة ؟ *

— فى هذه الحالة ننظر فى الأمر ،

★ ★ ★

الشقة التى تسكنها فاخرة ، فهى لاشك فى غير حاجة الى الأجر الذى تتقاضاه من الست حميدة * واستطاعت بحيلة بسيطة أن تعرفنى بزوجها فأنا صحفي وهو يعمل فى مكتب أحد الوزراء ، ويمكن جدا أن يكتب صحفى بحثا عن مكاتب الوزراء * زوجها شاب أنيق غاية الأناقة ، لا يتغاضى عن أناقته هذه فى مخارج ألفاظه وفى اختيار هذه الألفاظ * وهو من هذا النوع الذى يمكن أن تتناغم أناقته مع ملامح وجهه * وواضح جدا أن الأناقة تمثل عنده أساسا من أسس الحياة التى لا تقوم الحياة الا بها * وواضح أيضا أن بهيرة تحب هذه الأناقة فى زوجها

وتعجب بها وتتحررها في حياتها • قد قدمت لى الويسكى في
عناية باعداده ، وحفت الكأس بألوان شتى من المأكولات التي
تحيط بالويسكى لم تغفل منها شيئاً حتى الكفير والفواجرا •
وكان هانى سعيداً بالطريقة التي تقدم بها بهيرة الشراب الى ،
سعيداً بأن بيته مستعد هذا الاستعداد الأنيق • وكلما التقت
نظرة من بهيرة بنظرة من هانى ، أكاد أرى نوعاً من ضوء الحب
العميق يشع في الأجواء •

لا يمكن أن يقوم هذا الحب جميعه بين الاثنين الا على
أسس كاملة ، فلا يمكن مثلاً أن يكون الزوج عاجزاً •• أو قد
يكون • وعزمت أن أسأل بهيرة عن هذا في لقائنا القادم •• ترى
هل تصارحنى ؟ •

ووجدت نفسى أندفع في توطيد الصداقة بينى وبين هانى :
— أنت تعرف أن سكرتير الوزير يجب أن يبقى في الظل •
— أعرف هذا •

— فما هذا البحث الذي تريد أن تقوم به ؟ •
— ما رأيك أنت ؟ •

— حين أخبرتنى بهيرة رأيتهأ فرصة أن أتعرف بكاتب لامع
مثلك •

— أتعقد فعلاً أنني كاتب لامع ؟ •
— وهل في هذا شك ؟ •

- شك كبير •• ماذا قرأت لى ؟ •
- تكفى صورك فى الجرائد ، وأحاديثك فى الاذاعة والتلفزيون •
- ولكن هذا جميعه لا يدل على أننى صحفى لامع •
- فعلى ماذا يدل ؟ •
- لا علينا •
- المهم أننى أحببت أن أتعرف بك •
- وأنا أحببت أن أتعرف بك •
- وكانما وجدت بهيرة نفسها قد سكتت طويلا :
- الله •• الله •• المسألة انقلبت الى غزل •
- غزل لغيرك وأنت موجودة •• هل هذا معقول ؟ •
- طبعا أنت رجل بضاعتك الكلام •
- لا أبدا ، عندى بضاعة أخرى •
- مثلا ؟ •
- مثلا عندى لوج الليلة فى الباليه •
- والنبى ؟؟ •
- والنبى •
- هانى •• ما رأيك ؟ • ألححت عليك فلم تستطع أن تجد لنا •••
- وقاطعها هانى :

- لا داعى لكثرة الحديث •• اذهبى والبسى •
- هيبه •• أنت هائل يا أستاذ أيمن •
- لو قلت أستاذ هذه مرة أخرى ألغيت الدعوة •
- ولا يهكم يا واد يا ايمن •
- وذهل هانى :
- الله •• الله كذا مرة واحدة •• لا مؤاخذه يا أستاذ
- أيمن •
- وأنت أيضا •• اذا كررت أستاذ هذه سأوقع عليك
- عقوبات شديدة •



الله .. الله ! المسألة انقلبت الى غزل

—١٠—

لم أكن أتوقع طبعاً حين رفعت سماعة التليفون أن أجد
هذا الصوت يطالعنى بهذا الاسم :

— أنا عمك نصر •

— ماذا ؟ •

ما دمت لم تسمع فأنا نصر الملوانى رئيس مجلس ادارة
الشركة التى تعمل بها •

صمت لحظة ، وعاد الى " الصوت :

— ماذا ؟ ألم تسمع هذا أيضاً ؟ •

— بأى صفة من الصفتين أجيب ؟ •

— اختر الصفة التى تجعلك تجيب وتكلم •

— اذن فأنا أختار الصفة الثانية ، وأنا تحت أمرك •

— لماذا لا تأتى الى الشركة ؟ •

— اعتقدت ...

— حمار •

— نعم ؟

— هو ما سمعت •

— أنا قادم اليك •

يمكن أن يكون رد الفعل لما حدث أى شيء إلا أن يكون
مزاحا •• لابد أن الرجل لم يعرف حقيقة ما جرى فى غرفة
تحية :

— لماذا لا تأتى للشركة ؟ • أأست موظفا بها ؟ •

— الظاهر أن حضرتك لم تفهم الوضع تماما •

— أى وضع ؟

— الذى كان بينى وبين ••

ويقاطعنى فى سرعة :

— بينك وبين أحد موظفى الشركة ؟ •

— لا بينى وبين تحية •

— هل فى هذه الشركة موظفة اسمها تحية ؟ •

— ابنة رئيس مجلس الادارة •

— موظفة هى فى الشركة ؟ •

— لا ، زوجتى •

— زوجتك يا شاطر هذه فى البيت • نحن هنا فى شركة ••

أموال عامة •

— يا نصر بك لابد من توضيح المسائل •

— أية مسائل ؟ •

- الأمور لا تكون بهذه البساطة •
- ترجع الى عملك أولا •
- مسألة عملى هذه بسيطة ، انما لابد أن تعرف ما جرى ،
ما رأيته بعينى •
- وصمت قليلا وهممت بالكلام فأشار الىّ أن أصمت وأطرق
لحظة ثم رفع عينيّ منكسرتين :
- اذا شئت أن تتكلم فتكلم ، ولكن اسمح لى أن أتكلم
أنا أولا • ان ما بينك وبين زوجتك لا يجوز أن يتدخل فيه أحد •
- حتى أنت ؟ •
- حتى أنا •
- أبوها •
- لا أبوها ولا أمها ولا أحد •
- هذا غير معقول •
- سيأتى يوم تعرف أن هذا هو المعقول •• هل قلت شيئا
لوالدك أو والدتك ؟ •
- الرجل لا شك يعرف كل شىء •• أطرقت خجلا من أجله :
- لا •• لم أقل شيئا ، من أجل شهاب وهديل لم أقل شيئا •
- وأشرقت ابتسامة على وجه نصر :
- ولكن لابد أن أقول لك •
- لا أريد أن أسمع شيئا • وربما جاء يوم تشكرنى فيه
لأننى لم أسمع •

صمت .. انه قواد راسخ المقدم يعرف كيف يستتر الأمور
حتى على نفسه :

— تعود الى عملك بالشركة •

ولم لا ؟ .. لقد كنت أدفع له نصيبه فهو منتفع بوجودى
بالشركة مثل انتفاعى أنا بهذا الوجود • وقد كنت أدفع شبابى
فى مقابل هذه الوظيفة فما البأس اليوم أن أدفع صمتى • وقد
كنت سأصمت على حال من أجل ابنى وأبنتى .. أى بأس
اذن أن أعود ؟ • نعم أعود •

كانت مواعيدى مع بهيرة تتحدد بالتليفون ثم نلتقى عند الست حميدة ، وقد حاولت فى مرات عديدة أن أعرف شيئاً عن سر خيانتها لزوجها فلم أستطع • عجزت فى لقائى معها أن أعرف • السر • • وعجزت فى لقائى معها أن أصل اليه • ولكن صداقة جديدة على أية حال قامت بينى وبينها هى وزوجها معا • وقد كان الزوج وأثقا فى الى درجة أنه كان يجعلنى أصحب بهيرة الى النادى وحدنا ويلحق بنا الى هناك ، أو يشغله عمله فلا يلحق بنا • استغلق على السر فترة ليست بالقصيرة الى أن كان يوم كنت فيه مع بهيرة فى بيت حميدة ، واستطعت من خلال مهمة تكاد لا تحس أن أدرك السر • أو على الأقل خيل الى أننى عرفته • لقد كان زوجها محروما مما يتمتع به جنسه ، وحرمت هى مما يتمتع به جنسها •

اذن فلبهيرة أسبابها فى أن تخون زوجها • • لا غرابة اذن فيما تفعله ولا عجب •

فبلاحتفظ اذن بصداقة بهيرة وزوجها ، ولأواصل — البحث الذى رصدت له نفسى •



الرجل الذى يمارس هذا الحب معها . نوع من الهواية لا تعرفه
تحية بكل تأكيد .

وأصبحت نعيمة صديقة هى أيضا ، وما لبثت أن عرفتني
بزوجها ليدخل فى زمرة الأصدقاء . ولكن البيت لم يمدنى
بالسبب الذى خانتني من أجله تحية .



عرفت أزهار وعرفت زوجها ، سيدة جميلة هذا النوع
المهادى من الجمال . ولكنها مجنونة بحب البذخ ، وزوجها غنى
وكريم ، ولكن غناه وكرمه جميعا لم يستطيعا أن يواجها
رغباتها فى حب الشراء وحب الانفاق ، فتعرفت على الست
حميدة واستطاعت بجهدا الشخصى أن تصل الى ما تريده من
مال .

سبب جديد للخيانة ولكنه لا يروى غليلي . فما هكذا
تحية ، فلأعد مرة أخرى .

- ١٢ -

كثرت صديقاتى وكنت أصحبهن جميعا الى النادى • ولم تكن واحدة منهن تجد حرجا أن تصحبنى ، فجميعهن ماهرات فى خلق المعاذير لأزواجهن •

وأصبحت ذا شهرة واسعة فى عالم المغامرات ، ولكن شهرتى مهما يكن شأنها لم تخفف من دهشتى يوم استدعانى رئيس التحرير :

— اسمع ! سأطلب منك طلبا أن رفضته قتلتك •

على وجهه ابتسامة انسان لا رئيس • وخيل الى أن الابتسامة انتقلت الى شفتى أنا أيضا :

— من غير قتل ، قل ما تريد •

— ألبننت التى كانت معك أمس فى النادى •

— بهيرة •

— اسمها بهيرة ؟

— هذا هو اسمها •• ما لها ؟

— أريد أن أتعرف بها •

— ماذا ؟

— ألم تسمع ؟

الواقع أنني سمعت • ما البأس ؟ انها ليست حبيبتى ، وهى
ليست شريفة • ، وان رفضت قطعت رزقها •• رزقها •• يانهار
أسود •• هذا ليس من حقى :

— لا يمكن •

— ماذا ؟

— ليس هذا من اختصاصى •

— أى اختصاص تقصد •• وهل نتكلم الآن فى

الاختصاصات ؟

— ان لها مدير أعمال •

— مدير أعمال ؟

— أو مديرة أعمال اذا شئت •

— الحقنى •

— اكتب هذه النمرة •

• وأمليته تليفون الست حميدة •

— وماذا أقول ؟

— آه جئنا للكلام المهم •

— لا يمكن طبعا أن أقول لها أنا رئيس تحرير جريدة الأيام

و •••

— لا .. لا طبعاً •

— اذن ••

— لابد مما ليس منه بد •

وأمسكت سماعة التليفون ، وفى لحظات كنت قد رتبت
الموعد للأستاذ عبد الحليم راشد مع بهيرة بالطريق الطبيعى
لذلك •



مرت أيام ونسيت أمر هذا الموعد الذى أعددت ، وذهبت
الى الست حميدة لأواصل بحثى الذى لا يريد أن ينتهى بى
الى شىء يريحنى •
كانت الست حميدة قد وعدتنى أن تعد لى فتاة جديدة
أمارس عليها البحث ، فما أن رأتنى :

— أهلا أين أنت ؟

— أنا لم أتأخر •• موعدك معى اليوم •

— آه والبحث جاهز ، ولكن ليس هذا الذى أريدك فيه •

— خير ؟

— لك عندى رسالة •

— رسالة ممن ؟

— منى ••

وأعطتنى ظرفا مغلقا •• قلبته بين يدى ، ثم سألتها :

— ولماذا لا تقولين أنت الرسالة وأنا أمامك بشخصى ؟

- هذه رسالة لا تقال وانما تسلم .. افتح الظرف *
- وجدت بالرسالة ثلاث ورقات من فئة العشرة جنيهاً *
- ما هذا ؟
- نصيبك *
- نصيبى فيم ؟
- فى الزبون الذى أحضرته *
- كل هذا نصيبى وحذى .. لماذا ؟
- الأجر الأول كله لك .. وما يدفعه بعد ذلك لى أنا وللبضاعة المطلوبة *
- خذى يا ست حميدة .. أنا لم أفكر فى هذا أبدا *
- مصيبتك أنك لم تفكر .. لماذا لم تفكر ؟ * واذا جئت لى بسيدة أو فتاة فأجرك ضعف هذا *
- كنت قد نسيت الغضب فى هذه الفترة التى مرت بى بعد حادثة تحية وماجد ، ولكننى فجأة وجدت الغضب يعود الى ، ويبدو أنه تمثل فى نظرتى ووجهى فقد فوجئت بالست حميدة :
- اهدأ وفكر *
- من غير تفكير *
- دايما يا أيمن التفكير أحسن .. فكر .. ان لك أصدقاء كثيرين وسيطلبون منك ما طلبه عبد الحليم وستفعله ، فلماذا تفعله مجاناً ؟ *



ولماذا تقولين أنت الرسالة ، وأنا أمامك بشخصي ؟

جلست الى جانبها وصمت طويلا والظرف ما يزال فى
يدى أظفاه .

وفى خبرة قادرة راحت تنتظر الى ، وأحسست بها ترى
كل خلجة فكر تمر برأسى . كانت واثقة من منطقها وكان لى أنا
الآخر منطقى . اننى فى مقابل ما سأأخذه منها سأبذل جهدا
يستحق أجرا . . فهو أجر مقابل جهد . أما مسألة الكرامة فلم
تعد موضع مساومة ، فأنا لم تعد عندى كرامة لأبيعه ، لقد
نفدت من عندى منذ زمن طويل ، لقد بعته فى مقابل المال ولعل
المال الذى تقاضيته فى سبيلها أكثر تحقيقا لى من هذا المال الذى
أتقاضاه من حميدة . . لقد بعته كرامتى وتقاضيت ثمنها من
مال مخضب بدماء العاملين فى بلدى ، أما مال الست حميدة
فهو مال مقابل لذة . . انه مال غير مخضب بدماء البشر ، ومن
يدفعه يحب أن يدفعه . أما المال الذى كنت أتقاضاه فى الشركة
أو من غيرها فهو أموال لم يسمح أصحابها لى أن آخذها وانما
اغتصبها منهم قوم أغدقوها على أمثالى من قوادى الضمائر . .
كنت قواد رأى وهذا ألين ألف مرة من أن أكون قواد لذة .
أما ما شعرت به من غضب فهو رواسب من عهد الطفولة ما لبثت
أن أدركت سذاجته . لم تدهش الست حميدة حين وضعت
الظرف فى جيبى ، ولا شعرت أنا بأى وخز من ألم . وسألت
فى انطلاقة نفس يعرفها أمثالى :

— هل جاء البحث الجديد ؟

كنت جالسنا بغرفتي بالشركة ، وفتح الباب فجأة اتقف عليه
تحية • ذعرت ! انتفضت عن الكرسي أريد أن أهرب ، ولكنها
كانت تقفل الباب بجسمها • أردت أن أصرخ ولكني خشيت
أن تسمعي السكرتيرة ، وأنا لا أريد أحدا أن يسمع هذا
الصراخ •• هذا الصراخ بالذات لا أريد أن يسمعه أحد ••
أحسست بأيدي شهاب وهديل على فمي يكتمان من أخى أن
ينطلق •

وجدت نفسي كفأر أطبقت عليه مصيدة •• ذهبت الى أقصى
الحجرة وكأني أبحث عن مهرّب ، وأنا أعلم ألا مهرّب • وكل
ما استطعت أن أفعله هو أن أوليها ظهري وأصرخ في صوت
خفيض :

— اخرجى •• أرجوك •• اخرجى •

دخلت وأقفلت الباب ، وجلست وهي تقول :

— أهدأ •• أهدأ يا أيمن •

أهدأ •• هي الأخرى تطالبني بالهدوء كالست حميدة ••

تذكرت الست حميدة فوجدت نفسى أهذا فعلا • كيف تستطيع
النار المشبوبة الملاحبة أن تخمد هكذا فى جزء من هنيهة كأنما
خفت أن تكون قد عرفت بالتجارة التى أمارسها مع الست
حميدة • ولكن الأمر مختلف •• ان السيدات اللواتى أرسلهن
لسن زوجاتى ولا عرضى • الأمر مختلف • ولكنى مع ذلك أجد
نفسى هادئا • لا أريد لهذا الهدوء أن يبين على صفحة وجهى ••
فصرخت •• فى هذه المرة صرخت بأعلى صوت لى :

— لماذا ؟

وساد صمت ثم عدت أقول ودون صراخ :
— اننى من يومها أبحث لماذا •• لماذا •• لماذا ؟

— غلطت •

— فقط •

— الحقيقة أننى لا أعرف نفسى •

— مجنونة •

— ما رأيك ؟

— لو كنت لاحظت عليك جنونا ما أتعبت نفسى فى البحث •

— لعله نوع من الجنون المتقطع •• لقد أردت أن أغامر ••

كل شيء ميسر لى •• والحياة ملل •• ولا بد لنا أن نقطع الملل •

— بشرفك وشرفى وسمعة بنتك وابنك ؟

— وما المغامرة ؟ أليست مقامرة ؟

— والمثل والبادىء ؟ •• طبعا كلام فارغ •

- اننى ابنة نصر بك الملوانى •
- فعلا لك حق •• المثل عندكم من لون مختلف •
- تأكد لن يتكرر هذا •
- ما شأنى أنا تكرر أو ام يتكرر •
- أنا زوجتك •
- طلقتك •
- لابد أن تعود معى •
- أعود معك ؟
- الى شهاب وهديل •
- ومن أدرانى أن ماجد وحده ، لعل هناك ••
- تقصد هناك غيره •
- أم تراك مخلصه له ؟
- المسألة مجرد قطع ملك ، ولا تحتاج لأكثر من واحد •
- هناك قواعد للدعارة •
- قواعد للمغامرة • ان لم تغفر من أجلى ثمن أجل الأولاد • على الأقل امنع تقولات الناس •
- صمت • كيف أسمح لهديل أن تربيها هذه المستهتره ؟
- وكيف لا أحمى سمعة شهاب أن يلوكلها أصدقائه ؟ وأنا ••
- ماأنا ؟ لأكن ما أكون ولكن وجودى على أية حال قد يجعلها تتخفى فلا تتبجح •• صمت • وطال الصمت ولم أجد شيئاً أقوله

ولم تقل هي أيضا شيئاً • • صمت مطبق لم يتصل فيه حتى هذا
الحديث الذي يمكن أن يدور بين اثنين • صامتين في غرفة
واحدة • صمت مطبق حتى لم يعد برأسى شيء أفكر فيه •
وسألت في لهجة أعرفها وكأننا عدنا زوجين ، بل كأننا
ما افترقنا :

— هل سيارتك معك ؟

صمت قايلاً ثم قلت :

— نعم •

— أنا بدون سيارة • سيارتي يصلحون لها الفرامل •

— أرجو أن تصلح الفرامل ، •

— هيا بنا •

وقمت مستسلماً • وفي الطريق ملت الى فندق هيلتون
لأشتري تورتة وجاتوه للأولاد ، ونزلت معي الى الفندق وحين
هممت أن أدفع الحساب وجدنتى أخرج ظرفاً من ظروف الست
حميدة وقالت تحية :

— أين محفظتك ؟

ودون تفكير قلت :

— هكذا أسهل •

وبينما كانت البائعة تبحث عن باقي النقود رحلت أفكر
كيف أشتري بنقود الست حميدة حلوى لأولادى ، ولكن

ما البأس ؟ • اننى سأشتري لهما أشياء كثيرة بهذه النقود ،
فأنا قد عرفت مصيرى وعرفت مصير أمهما • وكل ما أسعى له
فى الحياة ألا يعرف شهاب الست حميدة الا كما كنت أعرفها
أنا قبل الزواج ، وألا تعرف هديل الست حميدة مطلقا •
ولعلى •• لعلنى بما اكتسبت من خبرة فى الصحافة وفى المجتمع
وفى حجرة تحية وفى حجرات حميدة ، لعلنى أستطيع أن أبلغ
بابنى وبابنتى الى هذا الذى أصبو اليه •
القاهرة : فى ١٦ أكتوبر ١٩٧٤

« ثروت أباطة »

روايات المؤلف

- ١ — ابن عمار •
- ٢ — هارب من الأيام •
- ٣ — قصر على النيل •
- ٤ — ثم تشرق الشمس •
- ٥ — لقاء هناك •
- ٦ — الضباب •
- ٧ — شيء من الخوف •
- ٨ — أمواج ولا شاطئ •
- ٩ — جذور في الهواء •

مؤلفات الأستاذ نجيب محفوظ

اسم الكتاب	تاريخ اول طبعة	تاريخ آخر طبعة
مصر القديمة	١٩٣٢	
همس الجنون	مجموعة ١٩٣٨	العاشر ١٩٧٩
مبت الاقدار	رواية تاريخية ١٩٣٩	الحادية عشرة ١٩٨٥
رادوبيس	رواية تاريخية ١٩٤٣	العاشر ١٩٨١
كفاح طيبة	رواية تاريخية ١٩٤٤	الحادية عشرة ١٩٨٥
القاهرة الجديدة	رواية ١٩٤٥	الثانية عشرة ١٩٨٤
خان الخليلي	رواية ١٩٤٦	العاشر ١٩٧٩
واقائق المدق	رواية ١٩٤٧	الحادية عشرة ١٩٨٥
السراب	رواية ١٩٤٨	الثانية عشرة ١٩٨٤
بداية ونهاية	رواية ١٩٤٩	الرابعة عشرة ١٩٨٤
بين القصرين	رواية ١٩٥٦	الثانية عشرة ١٩٨٣
قصر الشوق	رواية ١٩٥٧	الثانية عشرة ١٩٨٤
السكرية	رواية ١٩٥٧	الحادية عشرة ١٩٨٤
للص والكلاب	رواية ١٩٦١	التاسعة ١٩٨٠
السمان والمخريف	رواية ١٩٦٢	الثامنة ١٩٨٤
دنيا الله	مجموعة ١٩٦٢	الخامسة ١٩٧٨
الطريق	رواية ١٩٦٤	الثامنة ١٩٨٤
بيت سيء السمعة	مجموعة ١٩٦٥	السابعة ١٩٨٣
الشحاذ	رواية ١٩٦٥	الثامنة ١٩٨٥
لومرة فوق النيل	رواية ١٩٦٦	السادسة ١٩٨٣
مسمار	رواية ١٩٦٧	الخامسة ١٩٧٩
خمارة القط الاسود	مجموعة ١٩٦٩	السابعة ١٩٨٥
تحت المظلة	مجموعة ١٩٦٩	السادسة ١٩٨٤

اسم الكتاب	تاريخ اول طبعة	تاريخ آخر طبعة
حكاية بلا بداية ولا نهاية مجموعة	١٩٧٢	السادسة ١٩٨٤
شهر العسل مجموعة	١٩٧١	السادسة ١٩٨٢
المرايا رواية	١٩٧٢	الرابعة ١٩٨٠
الحب تحت المطر رواية	١٩٧٣	الرابعة ١٩٨٠
الجريمة مجموعة	١٩٧٣	الخامسة ١٩٨٤
الكرنك رواية	١٩٧٤	السادسة ١٩٨٢
حكايات حارثا رواية	١٩٧٥	الخامسة ١٩٨٤
قلب الليل رواية	١٩٧٥	الثالثة ١٩٨١
حضرة المحترم رواية	١٩٧٥	الرابعة ١٩٨٣
ملحمة الحرافيش رواية	١٩٧٧	الثالثة ١٩٨٤
الحب فوق هضبة الهرم مجموعة	١٩٧٩	الثالثة ١٩٨٤
الشيطان يعظ مجموعة	١٩٧٩	الثالثة ١٩٨٤
عصر الحب رواية	١٩٨٠	
افراح القبة رواية	١٩٨١	الثانية ١٩٨٣
ليالى الف ليلة رواية	١٩٨٢	الثالثة ١٩٨٧
رايت فيما يرى النائم مجموعة	١٩٨٢	الثانية ١٩٨٤
الباقى من الزمن ساعة رواية	١٩٨٢	الثانية ١٩٨٥
لامام العرش (خوار بين الحكام) رواية	١٩٨٢	الثانية ١٩٨٥
رحلة ابن فطومة رواية		الثانية ١٩٨٧
التنظيم السرى مجموعة	١٩٨٤	
العائش فى الحقيقة رواية	١٩٨٥	
يوم قتل الزعيم رواية	١٩٨٥	
حديث الصباح والمساء رواية	١٩٨٦	
تحت الطبع		
صاح الورد مجموعة		

رقم الايداع ٢٥٦٤

الترقيم الدولى ٣ - ٢٣٣ - ٣١٦ - ٩٧٧

مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - البحالة

الشمس ١٢٥ قرشا

دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه